

مَسيرة شعرية على هدى بُردة الإمام الصوفي الجليل
شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد البُوصيري
رحمه الله تعالى

نظمها الفقير إلى الله تعالى
الدكتور عبدالغفار حامد هلال
عفا الله تعالى عنه

تقديم ودراسة
الدكتور حسن البنداري
أستاذ النقد الأدبي بكلية البنات - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

٨١١,٠٦ عبد الغفار حامد هلال.

غ ف ن هـ نهج البردة. البرأة: مسيرة شعرية على هدى بردة الإمام الصوفى شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى/ نظمها عبد الغفار حامد هلال؛ تقديم ودراسة حسن البنداري.- القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٦.

٩٦ص؛ ٢٠سم .

يشتمل على إرجاعات بيليوجرافية.

تدمك: ٥-٢١٨٨-١٠-٩٧٧.

١- الشعر الدينى. ٢- شعر الفخر المديح. أ- حسن البندارى ، محقق. ب- العنوان.



إخراج فنى

حسام حسين أنيس

رقم الإيداع/ ١٣٨٩٤/ ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تجليات البردة

[١]

هذه مسيرة شعرية "عارض" بها صاحبها الشاعر عبد الغفار هلال[١] "بردة" الشاعر المصرى شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى (٦٠٨هـ - ٦٩٦ هـ). وهى قصيدة مشهورة فى الأدب العربى اشتملت على مائة وستين بيتا، استهدفت "مدح سيد الخلق محمد ﷺ".

ومن المؤكد أن البوصيرى قد أفاد ببردته هذه وبمدائح نبويّة أخرى مثل "الهمزية"[٢] - من قصائد حسان بن ثابت التى مدح بها الرسول ﷺ فى حياته وبعد وفاته[٣]. ولكن هذا النوع من

---

(١) أستاذ الدراسات اللغوية بجامعة الأزهر، وله ديوان شعر بعنوان "هذا الضياء" جمع وتبويب وتعليق د. فردوس نور على حسين، دار الفكر العربى، عام (١٩٩٦).

(٢) ديوان البوصيرى: تحقيق: محمد سيد كيلانى، مكتبة البابى الحلبى ط(١) ١٩٧٤م.

(٣) يطلق الباحثون على الشعر الذى أعقب وفاة الرسول ﷺ مديحا ولا يقولون عنه "رثاء" على اعتبار أنهم يرون أن حياة الرسول ﷺ موصولة. ولذلك يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء.

المديح تحوّل على يد البوصيرى إلى غرض بارز انضم إلى أغراض الشعر العربى الأخرى، وقف عنده نقاد الأدب فى القديم والحديث بالدرس والتحليل، وأكدوا أن البوصيرى: "مخترع المدائح النبوية" غير منازع، ولا سيما "بردته أو برأته" التى ترتكز على "حب عميق للرسول ﷺ مازجته استغاثة بنوره الأسمى وياستشفاع بشخصه الكريم". ومطلع هذه القصيدة / البردة[1]:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِى سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

وفيها يقول[2]:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونينِ والثَّقَلَيْـ
نِ والفَرِيقَينِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
هُوَ الحَبِيبُ الَّذِى تُرجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوالِ مُقْتَحَمِ

ويقول[3]:

وكَيفَ يُدْرِكُ فِى الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَومٌ نِيَامٌ تَسَلَّوا عَنْهُ بِالحُلُمِ

---

(١) الديوان ص ٢٣٨.
(٢) السابق ص ٢٤٠، ٢٤١.
(٣) السابق ص ٢٤١.

والواقع أن هذه القصيدة / البردة قد أثّرت فى أجيال الشعراء من بعده مثل: صفى الدين الحلّى (-٧٥٠هـ) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) وابن حجة الحموى(-٨٣٧هـ)، وجلال الدين السيوطى (-٩١١هـ)، ومحمود سامى البارودى (-١٩٠٤م)، وأحمد شوقى (-١٩٣٢م) وسواهم من الشعراء المعاصرين.

فالبارودى يستهل مدحته النبوية بقوله[١]:

يَا رَائِدَ البَرْقِ يَمِّمْ دَارَةَ العَلَمِ
وَاحْدُ الغَمَامَ إلى حَيٍّ بِذِي سَلَمِ

وقال فيها[٢]:

خَدَمْتُهُ بمديحي فَاعْتَلَيْتُ عَلَى
هَامِ السِّمَاكِ وَصَارَ السَّعْدُ مِنْ خَدَمِي

ويقول أحمد شوقى مستهلا مدحته التى سماها (نهج البردة)[٣]:

رِيمٌ علَى القَاعِ بَيْنَ البَانِ والعلَمِ
أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

(١) د. زكى مبارك: الموازنة بين الشعراء. دار القلم/ الكويت ص١٩٣.

(٢) السابق ص٢٠٦.

(٣) الشوقيات دار مصر للطباعة ط١٩٧٠، ١/ ١٩٠.

ويقول فيها[1]:

البَــدْرُ دُونَكَ فِي حُــسْنٍ وفِـي شَـرَفٍ
وَالبَــحْرُ دُونَكَ فِي خَــيْـرٍ وَفِـي كَـرَمِ

شُمُّ الجِــبَالِ إذَا طَاوَلْتَــهَـا انْخَـفَـضَتْ
والأنجم الزُّهْـر مَـا واسَـمْـتَـهـا تَسِمِ

ويقول[2]:

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُـعُـوبٌ مِنْ مَنِيَّـتِــهَـا
واسْــتَـيْـقَظَتْ أُمَمٌ مِـنْ رَقْـدَةِ العَــدَمِ

كما أثّرت بردة البـوصيرى فى بـيئات عـالمية عـديدة منذ نهايات القرن التاسع عشر الميـلادي، فعرفها القارئ الأوروبى عن طريق ترجمتهـا إلى الفرنسية على يد (رينيه باسيـه)، وطبعها فى باريس عـام ١٨٩٤م، كـمـا ترجـمـهـا إلى الإيطاليـة (سنيـور جـابريلى)، ونشـرها فى فلورنسـا عـام ١٩٠١م، وكـذلك تمت ترجمتها إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية.

وقد امـتدّ تأثيـر البردة إلى بلدان بقـارة آسيـا، حيث تمت ترجمتها إلى اللغات: التـركية، والفارسية، والأردية، وإن كانت

(١) السابق ص٢٠٠.

(٢) السابق ص٢٠٨.

ماليزيا تجاوزت مجرد الترجمة، فقد عمد إلى "معارضتها" الأديب الماليزى: الشيخ محمد زين العابدين العيدروس (١٧٩٥ - ١٨٧٨م)، وذلك فى ديوان تأثر فيه بمدحتي (الهمزية) و(البردة) للبوصيرى، وعنوانه [كتاب كنز العلا فى بيان صفات المصطفى][١]. وفى هذا الكتاب يظهر على نحو واضح تأثر الشيخ العيدروس بالبردة، فيقول محتذيا أبيات البوصيرى التى ذكرتها منذ قلبل - يقول عن النبى ﷺ: "إنه سيد العرب والعجم والثقلين، وسيد الدارين: الدنيا والآخرة، وهو ذو الشفاعة العظيمة يوم القيامة، يوم لا شفاعة إلا به":

Sayyidina Muhammad tulah rasul yang tinggi
zat dan sifat dan nasab dan perangal yang mulia [٢]

[٢]

تناول الدكتور عبد الغفار هلال فى نهج البردة وعدد أبياتها (ثلاثمائة بيت وسبعة أبيات) جوانب مختلفة تهدف جميعا إلى

(١) انظر مخطوط رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة - بعنوان (تأثير الأدب العربى فى الأدب الماليزى الحديث) للباحث الماليزى: روسنى بن سامة (٢٠٠٤).

(٢) المرجع السابق ص٥١.

إرساء معنى أساسى يمتلك قلب الشاعر وعقله وهو: "حبّ فياض للرسـول الكريم[1]، دعـاه إلى مناجـاته بأن يعين الأمـة العربيـة والإسلامية فى تجاوز أزمتها الراهنة، وأن يزيح عنها الظلم الفادح والظلمـة العاتيـة، وأن ينير لهـما مـسيـرتهمـا فى الحاضـر وفى المستقبل، وأن يخفف من "تألّمه" النفسى والبدنى - الذى أصابه بسبب إحساسه الحادّ بالواقعين العربى والإسلامى.

ويمكن حصر هذه الجوانب فى ثمانية محاور:

المحور الأول: بوح نفسى أساسـه تحسّر الشاعـر على فترة زمنية مبكرة، شـابها تقصير، مـا لبث أن تراجع وتلاشى بمشاعر حبّ غلاّبة تجاه محبوبه الأسمى الذى امـتلك قلبه وعقله: محمد ﷺ.

ويتـولى هذا المحور الأبيـات (١-٣٤)[2]. وقـد استـهله بقوله:

---

(١) سبق للشـاعر أن أبدع قصـائد مدح للرسـول ﷺ وعددها خمس قـصائد. وذلك بديوانه (هذا الضـياء) صفـحات٣٩- ٦٤. كـما سـبق له أن عارض قصـيدة بردة كـعب بن زهير (بانت سـعاد. . .) وقد صـدرت بعنوان (نهج البردة): مسـيرة شعرية على هدى بردة الصحـابى الجليل (كعب بن زهير)، الناشر: مكتبة وهبة ط (١) ٢٠٠٠.

(٢) النص صفحات ٥١-٥٦.

سَكَبْتُ دمـعِى على شـيب مِنَ الـلَّمَمِ
وذكَّـرتْنى شـبـابَ اللَّهـوِ والـلَّمَمِ
يومـانِ : يـومٌ لِدنْيـا نـاضـرٌ غـرِدٌ
ويَومُ أخْـرى يُدانِـينِى مِنَ الهَـرَمِ
سِرْتُ الهُـوَيْنَى معَ الأحـلامِ مُـبـتَسِمًا
وأسْلمـتْنِى لِثَـغْـرٍ غَيـرِ مُـبتَسِمِ

فالشاعر يتـ ـر على ما فقد من أيام اجتذبتـه فيها مظاهر الدنيا، ولذلك كانت أحـلامه مشرقة باسمة. . ولـكنه سرعان ما اجتذبه واقع غير مبتـسم، فكان من الضرورى عليه اللجوء بسرعة إلى "محـبوبه" الذى كم يود أن يراه فى حلمه كل ليلة كـما كان يحلم به والده فى جميع الليالى. ومن ثم اتجه إلى محبوبه قائلا:

أرْجُـو النَّجاةَ وأينَ الفُلْكُ ؟ قَـدْ مَخَـرتْ
عُـبَـابَ فـكرِى تَبَـاريحُ الهَـوى العَـرِمِ
هَوى الرَّسُـولِ هَوَى المخْـتـارِ قـدْ عبِـقَتْ
بِهِ الـنَّسَـائِـمُ يا بُشْـرى لِـمُتَّـسِمِ

فهواه نور مـلأ كيانه فانصاع إلى طاعة الله سـبحانه، وهى طاعة مقرونة بقيم أخلاقية يتمسك بها ويحرص عليها، يقول:

وَمُـذْ دَرَجْـتُ عَـرفْتُ النُّورَ مُـخْـتَـرِقًـا
غَـيَـاهِبَ النَّفْـسِ بِالأخْـلاقِ والشِّـيَمِ
أحْـسَـسْـتُـه فى كِـيَـانِى طاعَـةً مَلأَتْ
جَـوَانِحِى بِصَـحِـيحِ الدِّينِ والقِـيَمِ

وكيف لا يتـجه إلى المحبوب الأسـمى .. رسول الله ﷺ وحده من دون الخلق جميعاً؟ كيـف لا يتجه إليه دون سواه، فهو الذى يتمتع "بقبضة النور" الـتى ملأت الكون وغمرت مخلوقاته الحركية والساكنة[1].

والشَّـمسُ والبـدْرُ مِـنْ أنْوَارِ قَـبضَـتِكمْ
لَوْلا سَـنَاكُـمْ بُنَـى الأكْـوانِ لم تَـقُمِ
النُّورُ نُـورُكَ فى الأرْجَـاء مُـشْـتَـمِلٌ
ودُونَكَ الـكَونُ لا يَمْـشِى على قَـدَمِ

وأما المحور الثانى كما تشير إليه الأبيات (٣٥ - ١٠٥)[2] فهو "متابعة تفصيليـة لحياة الرسول الكريم دلت على عمق حبه فالمحب الصادق دائم المتابعة للمحـبوب، فما بالنا إذا كان المقصود هو الحـبيب الأعظم الأسـمى؟ لاشك أن المتـابعـة تكون مريحـة للقلب مطمئنة للنفس. يقول فى أبيات يشير فيها إلى الإسلام[3].

(١) النص ص٥٣.
(٢) السابق ص٥٦-٦٦.
(٣) النص ص٥٦-٥٨.

يَاسيِّدَ الرُّسْلِ أَسَّسْتَ الحياةَ علَى
نُور مِنَ اللهِ والإحسانِ فى الحكْمِ
أتممْتَ لِلأُمَّةِ الأخلاقَ ترفعُها
على الحضارةِ تعلُو شامِخَ القِمَمِ
مَا قُمْتَ بالسَّيفِ تدعُو بلْ بمألُكَة
إلى الملُوكِ بلا جَوْرٍ ولاَ رَغَمِ

وأما المحور الثالث: فهو "الاستغاثة النوعية". فقد استغاث الشاعر فى الأبيات (١٠٦-١٤٤)[١] بالرسول الكريم، وذلك لإشهاده على تفكك أمته المعاصرة، وضياع جزء عزيز منها هو "أرض فلسطين" وناشده التدخل[٢] لإنقاذها. وإن كان الأمل فى هذا الإنقاذ متوقفاً على إرادة الله جل شأنه، وبسبب من نوره، وبهمّة المسلمين وإخلاصهم وصدق نواياهم، وتذكرهم أمجاد أسلافهم العُظماء الذين واجهوا أعتى القوى فى سبيل نصرة الله ورفع الظلم عن كاهل العباد يقول[٣]:

(١) السابق ص٦٧-٧٢.
(٢) ناشده التدخل على أساس أن حياة الرسول ﷺ موصولة لم تتوقف بالتحاقه بالرفيق الأعلى سبحانه وتعالى.
(٣) النص، ص٦٧.

كُنُوزُ أُمَّـتِـكَ العُظْـمَى مُـبَـدَّدَةٌ
ولاَ رِبَاطٌ ولا ضَـرْبٌ يدَ الحُـذُمِ

وَدَنَّسَـتْ قُـدْسَ الأقْـصَى وقـبلَتَـهُ
أقْـدامُـهُمُ دُونَ إجْـلالٍ لمحـتَـرمِ

وتَحتَ سطوتِـهمْ ضَـاعَتْ مـآثِرُنَا
مِنَ الحـضـارة بين الذُّلِّ وَالكَـشَمِ[1]

ويقول[2]:

يَا غـوثنَا وَطَنُ الإسـلامِ مـحتَـضَـرٌ
إرْثُ الكـلالةِ لـم يُقْـسَمْ لـذِي رحمِ

ويقول[3]:

(يا أحْـمَدَ الخَيـر) قد ضَاقَتْ بِنَا سُبُلٌ
مِنْ هـؤلاء بِسَـيْـلٍ منْ غُـثَـائِـهِم

هَلْ تطْلعُ الشَّمْس يومًا بعدَ مَا احْتَجَبَتْ
وهَلْ تقشَّـع عنها غَـيْـهَـبُ الغُيُمِ ؟!

---

(١) الحذم: اللصوص الحذاق- كشم أنفه : دقه أو جدعه.

(٢) السابق ص٦٧.

(٣) السابق ص٦٨.

ويقول[1]:

أنقِــذْ بأمْنِكَ أمْنَ المسلمينَ فَــهُمْ
في مَفْــزَعٍ بِوَطيسِ الحَرْبِ مُـضْطَرِمِ

وأما المحور الرابع فهـو "بوح ذاتى" يتعلق بحبـه للمدينة المنورة، وللكعبة المشرفة، يستهـدف بهذا البوح الاستغاثة بالرسول لإنقاذ أمة الإسلام من الضغـوط المريبة، والهوان الذى آلت إليه، وذلك فى الأبيات (١٤٥ - ١٩٧)[2] وفيها يقول[3]:

أُحَـدِّثُ النَّفْس : هَلْ آوِى إلى رحـمى
و(أحـمد الخـير) حَـامِى سَاكِنى الحـرَمِ
جِـــوَارُهُ آمِـنٌ دُنْيَـــا وآخِـــرةً
وَعِـنْدَهُ تَـهْـــدأُ الأرْوَاحُ فى إِضَـمِ[4]
(مَـدِينَةُ النُّورِ) نُورُ السَّـعْـدِ سَاكِنُهَـا
(وَطَيْـبَـةُ النُّورِ) تَجْلُـو سُدْفَـةَ التُّـهَمِ

---

(١) السابق ص٧٠

(٢) السابق ص٧٢-٨٠.

(٣) السابق ص٧٢، ٧٣.

(٤) إضم: من أسماء مدينة الرسول ﷺ.

ويقول[1]:

أرْجُـــو وآمُلُ قُـــربًا منْهُ يُسْـــعِـــدُني

(مُـــحَـــمَّـــدٌ) هوَ رُكْني غَـــيـــر منْهَـــدِمِ

ويقول[2]:

وَذِكْـــرُهُ بَعْـــدَ ذِكْـــرِ الـلـه يَشْـــغَلُـني

خِلْـواً وَفي مَـــلأ بالـنَّاسِ مُـــزْدَحِمِ

ويقول[3]:

أُمُّ القُـــرَى (مـكَّةُ) الزَّهـرَاءُ عَـــامِـــرَةٌ

بِطَائِفـي البَـيْتِ مِنْ عُـرْبٍ ومِـن عَـجَمِ

ويقول[4]:

أنْـوَارُ مكَّـةَ تَـغْـــــرُوني مُـــــلألأةً

عَلَى المـآذِنِ حَـوْلَ البَـــيْتِ كـالـنُّجُمِ

---

(١) السابق ص٧٣.

(٢) السابق ص٧٤.

(٣) السابق ص٧٦.

(٤) السابق ص٧٧.

ويقول[1]:

عَـهْـدِى هُنـاكَ طَوَافِى حَـوْلَ قِـبْلَتُنَا
والنُّـورُ ثَوبٌ يُغَطِّـى عَـارِىَ الجِـسْمِ

وَكَمْ هُنَـاكَ دَعَـوْتُ اللـه مُـبْـتَــهِـلاً
وَكَمْ وَقَـفْـتُ طَوِيلاً عِـنْدَ مُـلْتَـزَمِ

المحور الخامس: يتعلق "بجهاده النـفس والشيطان" حماية لاعتقـاده وعقيدته ومسيـرته الإيمانية، وذلك فى الأبيات (١٩٨ - ٢١٤)[2]، التى أفصـحت عن ضرورة هذا "الجـهاد" الداعى إلى مخاطبـته "النفس" بخطاب يرسم لها طريق النجاة، لاسـيما أن ملائكة الرحـمن سوف تكون شاهدة عـلى هذه "المجاهدة" التى سـتفـوز بالرحمـة والعفـو ولذلك يجب على النفس أن تسـارع بالتـوبة، لأن العمـر (سَرْعـان) ما ينتـهى فجـأة وبدون تمهيـد. يقول[3]:

أُجَـاهِدُ النَّفْسَ والشَّـيطانَ طُولَ مَـدًى
أُعِـيـذُها مِـنْ غَـرُورٍ بَاءَ بالـرَّجَمِ

---

(١) السابق ص٧٨.

(٢) ص٨٠-٨٢.

(٣) السابق ص٨٠، ٨١.

يا نَفْسُ تُوبِى نَصُوحَ التَّوْبِ خَائفةً
مِمَّا جَنَيْتِ وَكُونِى فى ذَوِى قَدمِ[1]
عُودِى إلى طَاعَةِ الدَّيانِ تائبةً
مُدِّى يَدَيْكِ إليهِ إِثْرَ مُؤْتثمِ
تَرَىْ مَلاَئِكةَ الرَّحمنِ شَاهِدَةً
فى يوم تلْقَيْنَ مَا قَدْ خُطَّ بالقَلَمِ
يَا حُسْنَ نَجْوَاكِ رَبَّ العَرْشِ هَائمةً
مثلَ الفَرَاشِ عَلى الأزْهَارِ وَالعَنَمِ[2]
إلى حَبِيبِكِ بالبُشْرَى مُهلِّلةً
طيرى لأحمدَ غَنِّى أَعْذَبَ النَّغَمِ

المحور السادس يختص بحديث الشاعر عن "أصالة تديّنه وعلمه" وذلك فى الأبيات (٢١٥ - ٢٨٠)[3]. فقد نربّى على "صالح الأعمال" التى اكتسبها من أبويه: والدته ووالده معاً. فكلاهما دائم التضرع إلى الله يدعوانه ويرجوانه الرضا والعفو والرحمة. فهما قد انتهجا طريقا يأملان أن يؤدى بهما إلى الجنة: طريق الخير والحب الإنسانى وجليل الأعمال التى يقتدى بها

(١) ذوى أعمال صالحة.
(٢) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب.
(٣) النص: ص٨٢-٩١.

الأبناء والأقارب. كما يؤكد فى الأبيات على "تكوينه العلمى والمعرفى" الأصيل، ويشير إلى صلته المبكرة "بمذهب التصوّف وأقطابه، وكتبهم"، ويشيد بشيوخه الذين تلقى منهم العلم والتوجيه. وكيف لا يشيد بهؤلاء وهؤلاء وهم الذين أسهموا جميعاً فى تكوينه العلمى والدينى والأدبى. يقول[1]:

أُمّي تُجِيبُ أَبِي فِي كُلِّ صَاعِدَةٍ
إلى السَّمَاءِ بِصَوْتٍ هَادِئٍ بَسِمِ

يَدَاهُمَا فِي شُرُوقِ الشمس أو سحراً
مرفُوعتَانِ لِرَبِّ النَّاسِ بِالعَشَمِ[2]

وفى الرَّسُولِ أنيسٌ دائمٌ لَهُمَا
ولا يَغيبُ جنَابُ الفَارِسِ القُدُمِ[3]

ويقول[4]:

أُكْرِمْتُ يَوْمَ حَبَانِي وَالدى أَمَلاً
أَنْ أدْرُسَ العِلْمَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

---

(١) السابق ص٨٣ ما بعدها.
(٢) العشم: الطمع فى رحمة الله وإجابته.
(٣) الفارس القدم : الشجاع.
(٤) النص ص٨٤، ٨٥.

حَـفظتُ قُـرآنه وَهَدْىَ سنتـه
فى كـعْبَـةِ العِلْمِ تَطوافِى ومُلْتـزَمِى
وَعِـشْتُ للعِلْمِ أسْـتـسقِى مَواهِبَـهُ
مِنْ كُلِّ بَحْـرٍ غَـزِيرِ الموْجِ مُلْتَطِمِ

ويقول[1]:

بِالعِلْمِ أعـرفُ ربِّى حقَّ مَـعْـرِفـةٍ
وسَـاطِعٍ بِجَـلاَلِ الكوْنِ مُنتَظِمِ
وَالعِـلْمُ كـالماءِ فى الإسـلام أوكَـلأٌ
أوْ كـالهَـواءِ مُبَاحٌ شـركٌ مُقـتسَمِ
وَرِثْتُـهُ عَنْ أُصُـولٍ مِن أوَائلنَا
مِـيـرَاث دينٍ إلَى خـيـر الأنامِ نُمِى

ويقول[2]:

جَـالَسْتُ مَنْ ذِكْـرُهُ فِى نَفْسـه مَـدَدٌ
وَصَـوتُه لاهِـجٌ فِى خَلوَةِ العُـتُمِ

---

(١) السابق ص٨٥.

(٢) السابق ص٨٦.

عَـبْـدُ المُهَـيـمِن قُـطبُ العَـارفينَ ومَنْ

لَهُـمْ شُـهُـودٌ بنُورِ اللـهِ فِى الظُّـلَمِ

ويقول[1]:

أَهْلُ الحَـقِـيـقَـةِ أَهْلُ الـله سَـادتُـنَا

نَسِـيـرُ فِى رَكْـبِـهِمْ بالعَـهْـدِ والذِّمَمِ

ويقول[2]:

اللهَ أحْـبَـبتُ فِـيـهمْ والنَّبِىَّ مـعًـا

هذا السَّـبِـيلُ وإنْ تَسْلُكْـهُ تَسْـتَـقِمِ

المحور السابع "التوجّه بالدعاء الحار إلى الله تعالى لإعانة المسلمين على تحرير الأرض والمقدسات" وذلك فى الأبيات (٢٨١ - ٢٩٠)[3].

يقول[4]:

يَارَب مَـسْـجِـدَكَ الأقْـصى تُحَـرِّرُهُ

مِنْ ربقَـةِ الأسْرِ والتَّـعْـذِيبِ والألمِ

---

(١) السابق ص٨٦.

(٢) السابق ص٨٧.

(٣) السابق ص٩٢، ٩٣.

(٤) السابق ص٩٢.

حَــرِّرْ فلسطينَ مِنْ أيدى صَــهَـايـنة
عــاثوا بِرَأْىٍ وَمَـــسْــمَعٍ مِـنَ الأُمَمِ
يَاربُّ قَـــرِّبْ خَـــلاَصَ المسْلمِينَ ومَن
يُدَقُّ دقَّ الـرَّحَى مِنْ دُونِ مَـــا جُـــرُمِ
فَـفِى العِـراقِ وَفِى الشيشـان قَـدْ وقعُـوا
مَـا بين بَطْشَـةِ هُولاكُــو وَضَـعْـفِـهِمِ
حَـرِّرْ رُبُوعَ فَـغَـانِسـتانَ مُـسْلِمُـهُمْ
أُدين بـالدِّيـن مَـــا لـلدِّين وَالـفَـــهِمِ

ففى هذه الأبيات - كما نرى - يبين أن المسلمين يتعرضون لهجـمة شرسة فى أوطانهم، فـفلسطين محتلة والمسجـد الأقصى أسير فى أيدى الصهاينة. ويتعرض المسلمون فى العراق والشيشان وأفغـانستان لبطش القـوى العاتية المـستغلة لثـروات مواطنى هذه الدول. ولا تكف تلك القوى الغازية عن محاربة الإسلام رغم أنه يدعو إلى التسامح والسلام، وليس كما يصفونه بأنه دين إرهاب. والله تعـالى قـادر على حـفظ هذا الدين فى مـواجـهـة أعـدائه والمناوئين له، وإن كان ذلك رهن جهود أبنائه المخلصين، العاملين على إظهار "الحقيقة" بالحوار الجاد. والإقناع البناء.

وإذا كان الشـاعر حـريصا على أبناء الأمة الإسـلاميـة فإن حرصه يمتـد إلى غير المسلمين، حيث يدعو إلـى تخليص الجميع

من الأفكار المضللة التى تضلل شعوب العالم. يقول داعيا الله جل شأنه[1]:

وَحَرِّرِ النَّاس وَالآفاق أجْمَعَهَا

مِن المضِلِّينَ أَهْلِ الزَّيْغِ والوصَمِ[2]

وأما المحور الثامن فهو "التوسّل بقصيدته: البردة أو البرأة" لتكون طريقه إلى تحقيق آماله وإلى شفائه من سقامه، وإلى الالتقاء بالرسول الكريم ليرى "نور وجنته" الشريفة، كما توسّل بها لتكون شاهدة عليه بأنه سيكون دائم الصلاة على النبى المصطفى، ودائم الدعاء له ولصحبه والتابعين وتابعيهم، والذين مضوا على هداهم. وقد تولى هذا المحور الأبيات (٢٩١ - ٣٠٧)[3].

يقول[4]:

وَهَذِهِ بُرْدَتِى وبُرأتِى أَمَلاً

فِى نُصْرتِى وَصَلاتِى عِنْدَ ذِى سَلَمِ

---

(١) السابق ص٩٣.

(٢) الوصَم: المرض. اللسان ١٦/ ١٢٦.

(٣) النص ص٩٣-٩٥.

(٤) السابق ص٩٣.

ويقول[1]:

يَارَبِّ تَشْـفى سَـقَامِى مِنْ أذَى مَـرَضٍ
ألمَّ بِـى أنتَ عنِّى صـارفُ السَّـقَمِ
لاَ تَجـعَلنِّى أمُـدُّ الكفَّ فِى طـلَبٍ
إلى سِـواكَ فَـذُلِّى فِى طِلاَبِـهِمِ

ويقول[2]:

يَارَبِّ جَـاهُكَ لِى وجـاهُ المصطـفَى
فـفرِّج الكرْبَ واكْـشفْ داجى الغُـمَمِ
حَـتَّى أراهُ وألْـقَى نُـور وَجْنتـه
وأسكُبُ الدَّمْعَ أشْـفِى غُلَّـةَ النَّـهمِ

ويقول[3]:

وَصَـلِّ ربِّى وسَـلِّمْ دَائمـاً أبَداً
على الحـبيـبِ وآلِ البـيْتِ والحـرمِ
وَصَـحْبِـهِ كـالنُّجُـوم الزُّهْرِ قُـدْوَتَنَا
والتَّـابعـينَ لـهُـمْ فِى جَمٍّ فَـضْلـهِمِ
وتَابِـعِى التَّـابِـعينَ والذِّيـنَ مَـضَـوْا
عَلَـى هُدَاهُـمْ بإحْـسَـانٍ لِـدينِـهِمِ

---

(١) السابق ص٩٣، ٩٤.

(٢) السابق ص٩٤.

(٣) السابق ص٩٥.

[٢]

عمـد الشاعر فى مطولتـه التى بلغت ثلاثيمائة بيت وسبـعة أبيات - إلى توظيف عدد من "الوسـائل الفنية"، التى مدت هذه المحاور بطاقة تأثيرية، بغرض تأكيد معانيها وإرسائها ومنها "المزج الأسلوبى"، و"الـتـحـول الضـمـائرى"، و"التكـرار الفنى"، و"الاقتباس والإفادة".

أمـا الوسـيلة الأولى وهى "المـزج الأسلوبى" فـتـعنى أن الشـاعر عـمد فى بعض مـواطن القـصيـدة إلى توظيف أسلوبين مختلفين أو أكثر على نحو تبادلى لغرض نفسى هو "استثارة قدرة التلقى" لدى القارئ، والسامع من جهة إحـداث مشاركة وجدانية مع النص، ولإرسـاء القيم السـاميـة التى يجب تبصـير الأجـيال بها. وتعكس هذه المواضـع على نحو غالب صـورتين للمزج. هما "مزج الصيغة الخبرية بالصيغـة الاستفهامية" و"مزج الصيغة الخبرية بالصيغة الطلبية الندائية".

أما الصـورة الأولى وهى "مزج الصـيغة الخـبرية بالصيـغة الاستفـهامية" فتتـجلى فى استهلال القصيـدة بأداء خبرى بَوحى كـاشف عن مـعـاناته المبكرة مـع "بريق الحـيـاة الزائف الزائل. يقول[1].

---

(١) السابق ص٥١، ٥٢.

١- سَكَبْتُ دمعِي على شيبٍ منَ اللَّمَمِ
وذَكَّرتْني شبابَ اللَّهوِ واللَّمَمِ
٢- أذُوقُ حُلْوَ حياةٍ أشتهِي سكَراً
واليومَ عفْتُ لذيذَ السكْرِ والنَّهَمِ
٣- هُنَاكَ حَيْثُ رياضُ الحُبِّ وارفَةٌ
والقَلْبُ ريَّانُ بالأشواقِ والحُلُمِ

فبعد إقرار هذا المعنى "البوحى" سارع دون تمهيد إلى تدخل قولى دال على "صيحة احتجاج" استدعاها إحساسه بقصر عمر مظاهر الحياة المادية. وآثر أن يكون هذا التدخل بصيغة استفهامية عمد إلى تكريرها هكذا[1]:

٤- أينَ الرِّيَاضُ ؟ وأينَ الحبُّ؟ قد غربتْ
شمسُ الأحبَّةِ وارتْها يدُ الظُّلمِ

ليبين بالاستفهام المكرر "مدى إحساسه بخيبة الأمل" أو "بوار السعى" خلف مظهر دنيوى حسّى مصيره الانطفاء والانزواء، لا سيما أن النتيجة المترتبة على هذا الانزواء هى: "تأكيد" زيف المظاهر الحياتية المادية، ولذلك عقب على البيت السابق قائلا بصيغة خبرية[2]:

(١) السابق ص٥٢.
(٢) السابق ص٥٢.

وَاللَّيلُ طـالَ وأدْمَى مُـهـجـتى وَسَــجَـا

وصِـرتُ فـى طيِّـهِ شَـيْـئًـا مِنَ الـعَـدَمِ

ولكنه ما لبث أن عـاد إلى التدخل الاستفـهامى الذى أراده أن يكون بمثابة "قطع حاسم" لصلته بتلك المظاهر فقال(١):

أَرْجُـو النَّجاةَ وأينَ الفُلْكُ ؟ قَـدْ مَخَـرتْ

عُـبَـابَ فـكرِى تَبَـاريحُ الهَـوى العَـرِمِ

وكيف لا يكون "حسم" أو قطع ما دام قد سارع إلى "حبه الأسمى" الذى نشـأ وتربى عليه، فـمحبـوبه أعظم البشر، كـما حمل هواه فى قلبـه واستشـعره منذ طفـولته، ولازمه فى جـميع خطوات حـياته على نحـو ما يقـول بهذه الصيغـة الجبـرية التى توافقت مع هذا الحسم، بل وأكدت عليه(٢).

هَوى الرَّسُولِ هَوَى المختَـارِ قـدْ عبِـقَتْ

بِهِ الـنَّسَـــائِـمُ يا بُشْـــرى لِـمُتَّـــسِـمِ

وتبدو فى مواضع عديدة من القصيدة الصورة الثانية وهي: "التدّخل بالصيغة الندائية" المناشدة، ويقصد بها "مناشدة" المنادى ودعـوته الراجيـة إلى الوقـوف على الحـال التى تمر بهـا أمـتـه

(١) السابق ص٥٢.

(٢) السابق ص٥٢.

الإسلامية، ففى موضع من هذه المواضع[1] يعمد إلى سرد انتصارات حققها المسلمون الأوائل قضوا بها على إمبراطورية قوية مثل الإمبراطورية الفارسية التى كانت تهدّد الدولة الإسلامية الفتية. فى هذا الموضع يقول بسرد خبرى كاشف. عن هذا المعنى[2]:

وَخَالدُ بنُ الوَليدِ الله حَمَّلَهُ
عِبْءَ القَيادَةِ مِثل الصَّارِمِ الحذِمِ

فى القَادسيَّةِ نَارُ الفُرْسِ قَد خمدَتْ
وَيَزْدَجِرْدُ هَوَى فى مَرتَعٍ وَخِمِ

ولكنه ما لبث أن عمد إلى وقف هذا السرد بتدخل مناشد مناد ينادى به الرسول ﷺ، لشعوره الغامر بفداحة التحوّل الذى استشرى بين المسلمين فى الزمن الآنى، قال مناديا ومناشدا الرسول ﷺ[3].

(يا أحْمَدَ الخَير) قد ضَاقَتْ بِنَا سُبُلٌ
مِنْ هؤلاء بِسَيْلٍ منْ غُثَائِهِمِ

---

(١) السابق صفحات ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠... إلخ.

(٢) السابق ص٦٨ - الحذم: القاطع.

(٣) السابق ص٦٨.

ثم يعـزز هذه المناشدة "بـصيـغة اسـتفـهـاميـة" على هذا النحو[1]:

هَلْ تطلعُ الشَّمس يومًا بعدَ مَا احتَجبَتْ

وهَلْ تقشَّع عنها غَيْهَبُ الغُيُمِ ؟!

مستـهدفا بها طرح "أمل" فى تغـيير الواقع الردىء الذى حلّ بالأمة. ولكنه يتحول عن هذا الأداء الاستفهامى الدال - إلى "المناشدة الغـوثية" يستـغيث بها من فـئة تتكلم أكثـر مما تعمل، ويسيؤها أن يعمل غيرها فى صمت وصدق. يقول[2]:

(يا أحـمَـدَ الخيـر) إنَّ دعَاءنا عَـجَبٌ

مَعَ المعاصى وَجَهْر الصَّوتِ فى الرَّنَمِ

لا يَعـمـلُون وإنْ تدعُـوهُمْ جَـعَلُوا

أصـابعَ اليـدِ فى الآذان بـالصَّـمَمِ

وعلى هذا النحو من "الـتحوّل الندائى" يمضى الشـاعر فى مواضع أخرى[3] من القصـيدة، قـاصداً تحقـيق عنصر التـفاعل الإيجابى لدى المتلقى.

---

(١) السابق ص٦٨.

(٢) السابق ص٦٩.

(٣) السابق صفحات: ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢.

الوسيلة الثانية: "الالتفات الفنى" أو التحول الخطابى المفاجئ. ففى بعض المواضع ينتقل الشاعر فجأة ودون تمهيد من التعبير بصيغة الغائب إلى التعبير بصيغة الشاهد الحاضر أو الماضى سواء أكانت الصيغة "ضميرية" أو "فعلية" كما نرى فى قوله[1]:

١- يَعْدُو علَينا شِرارُ الخَلْقِ عِدتُّهمْ
تَمامُ عِدَّةِ أَهْلِ النَّارِ والحُطَمِ

٢- لكنَّ نُورَكَ فى الآفَاق مَشْرِقُهُ
تُتِمه رغم أنفِ الشِّرك وَالجُرُمِ

٣- بِمِلْءِ أفْواهِهِمْ لنْ يُطفِئوا غَدَهُ
ولَنْ يَغيبَ عنِ الدُّنيَا بِصَدِّهِمِ

٤- يا سَيِّدَ الرُّسْلِ أدرِكْنِى علَى عَجَلٍ
فإنَّنِى غَارِقٌ فى قَاعِ مُحْتَدِمِ

٥- يَا سيِّدَ الرُّسْلِ أدرِكْ هَائماً دَنِفاً
يرْجُو الطبيبَ لِجُرْحٍ غَيرِ مُلْتَئِمِ

٦- يا سَيِّد الرُّسْلِ إنِّى فى غِمَارِ هوًى
وفى تَبارِيح مَوجٍ منْهُ مُلتَطِمِ

---

(١) السابق ص٧١، ٧٢.

ففى البيت الأول وظف صيغة الغائب ليبين بها طبيعة شرار الخلق، وكيف أن أعمالهم وسلوكـهم فى الدنيا سيؤديان بهم إلى جهنم، فهم "أهل النار". وفى البـيت الثانى ينتقل فجأة بصـيغة المخاطب إلى الرسـول ﷺ حيث نوره البـاهر الغامر الذى تعـجز أمام قوته أية محاولة تبغى إطفـاءه. وفى البيت الثالث يتحول إلى التعبـير بصيغة الغائب ليـفسر بوار سعيهم فى مـحاولة إطفاء هذا النور الذى لن يغيب لأنه مـستمد مـن نور الله جلّ شأنه، فكيف لمخلوق أن ينال من هذين النورين؟! ولكنه فى البيت الرابع يلتفت فـجأة بصـيغـة المخـاطب (يا سيـد الرسل)، ثم بصـيغـة المتكلم فـالمخاطب (أدركنـى)، (فإننى) ليـبين بهـذا الانتـقال من سـوق معاناته- مـن حالة الضغط والحصار التى تحـدوه من كل جانب. وليس له من معين يقوّيه ويدعمه- إلى التوجه نحو "سيد الخلق" الذى يشعر به ويستشعـر وجوده فى كل موقف صعب أو خطير. ثم ينتقل فى البـيت الخامس إلى صيغة المخـاطب، حيث يخاطب الرسـول ﷺ قـائلا (يا سيـد الرسل) مكـرراً دعوته الغـوثيـة أن يخلصه من جرح لا يلتئم بعد أن عجز الطب عن تقديم أى علاج شاف. ولم تتواصل صيغة المخاطب كما نرى؛ فقد تحوّل منها إلى صيغة المتكلم التى مكنته من تقـديم بوح حميم كاشف عن معاناة صادقة.

بنفس النهج عمد الشاعر فى البيت السادس إلى التنقل الضمائرى بقوله (يا سيد الرسل إنى فى غمار هوى. . .) الذى يزيد من إضاءة الأداء اللغوى ويعمقه فيتحقق بذلك التأثير لدى المتلقى وتفاعله.

وأما الوسيلة الثالثة فهى "التكرار الفنى"؛ فقد وظف الشاعر فى غير موضع من القصيدة "تكرار" حرف أو كلمة أو جملة أو اسم بهدف ترشيح المعنى وتقويته وتأكيده لضمان الاستحواذ على المتلقى.

فقد كرر الشاعر حرف النفى (لن) فى أبيات عديدة منها قوله[1]:

بِمِلْءِ أَفْوَاهِهِمْ لنْ يُطْفِئُوا غَدَهُ
وَلَنْ يَغِيبَ عنِ الدُّنْيَا بِصَدِّهِمِ

فتكرار الحرف (لن) يهدف إلى تأكيد تصميم الشاعر وإصراره على قوة "النور النبوى" الغامر الذى يضىء النفوس وينير طريق المؤمنين بسننه وتعاليمه.

وكرر الشاعر صيغة (يا سيد الرسل. .) ثلاث مرات فى ثلاثة أبيات متتابعة هكذا[2]:

(١) السابق ص٧١.

(٢) السابق ص٧١، ٧٢.

يا سَيِّدَ الرُّسْلِ أدرِكْنِى علَى عَجَلٍ
فإنَّنى غَارِقٌ فى قَاع مُختَدِمِ
يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ أدرِكْ هَائماً دَنِفاً
يرْجُو الطبيبَ لِجُرحٍ غَيرِ مُلتَئِمِ
يا سَيِّد الرُّسْلِ إنِّى فى غِمَارِ هوًى
وفى تَبارِيحِ موجٍ منْهُ مُلتَطِمِ

فالتكرار هنا ليس سوى "استغاثة" حارة صادقة صادرة من قلب الشاعر المنادى أملاً فى إجابة الرسول ﷺ لتخليصه من معاناته النفسية فى زمن تسوده الماديات بكل صورها الرديئة.

وفى موضع آخر يكرر الشاعر صيغة المنادى (يارب) ست مرات فى ستة أبيات متتالية هكذا[1]:

يَا ربِّ صَلِّ وَسلِّمْ دَائماً أبَداً
علَى الحَبيبِ نَبِيِّ الخَلقِ كلِّهِمِ
صَلِّ وسَلِّمْ علَى مَنْ أُمُّهُ حَملَتْ
نُوراً أضَاءَ ذُرَا بُصْرَى مِنَ الشَامِ
صَلِّ وسَلِّمْ علَى مَنْ أرْضَعتْ وَرَعَتْ
حَليمةٌ فى بَنِى سَعْدٍ مِنَ اليُتْمِ

(١) السابق ص٨٨، ٨٩.

صَلِّ وسَلِّمْ علَى مَنْ جَـدُّهُ خَطَرَتْ
لهُ آيةٌ باسْمِهِ مِنْ قَبْلُ لمْ يَسمِ
صَلِّ وسَلِّمْ علَى المحْبُوب مَنْ فضلَتْ
به قُريشٌ علَى الدُّنْيَا بخَيْرِهِمِ
صَلِّ وسَلِّمْ علَى (مُحمَّد) فَبِهِ
تَحيَا النُّفُوسُ وتَنْجُو مِنْ لظَى الحُرَمِ

حيث قصد بتكرار هذه الصيغة "التأكيد" على "حبّ الله تعالى" لرسوله الكريم، و"دعوة" المتلقى لهذه القصيدة أو المسلم بوجه عام إلى بذل المزيد من التوجه القلبى إلى الرسول خير البشر بالسير على سنته، وبالصلاة عليه والدعاء له. فهو جدير بكل صلاة، وحقيق بكل تسليم ودعاء. وعلى هذا النحو يمضى التكرار فى مواضع أخرى من القصيدة[1].

وأما الوسيلة الرابعة فهى وسيلة "الاقتباس والتضمين" والمراد بها أن يوظف المبدع (الشاعر أو الكاتب) عبارات أو جملا فى نصه الإبداعى يراها مفسرة للمعنى أو موضحة له. أو هو كما يقول الخطيب القزوينى: "أن يضمن المتكلم كلامه شيئا من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه"[2].

(١) السابق ص٩٠، ٩١.

(٢) القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى - بيروت. ١٩٨٣ ص٢١٤.

والاقـتبـاس على هذا النحو مـقـارب لمصطلح "التناص" Intertexulite الذى يرتبط مدلوله اللغوى بعمليـة الاستمداد التى تتيـح للمبدع أن "يـحدث انزياحا فى أمـاكن محـددة من خطابه الشـعرى، بـهدف إفـسـاح المجال لشىء من الـقرآن، والحـديث النبوى"[1].

فقـد عمـد الشاعـر فى مواضع عـديدة من القصـيدة إلى الاستمـداد من القرآن الكريم يعزّز به المعنى، ويفسّره على اعـتبار أن توظيف النص الديـنى فى الشعـر "يعـد من أنجح الوسـائل، وذلك لخاصـية جـوهرية فى هذا النص الدينى تلتـقى مع طبيـعة الشعر نفـسه، وهى: أنها مما ينزع الذهن البشرى لحـفظه ومداومة تذكـره، فلا تكاد ذاكـرة الإنسـان فى كل العـصور تحـرص على الإمـساك بـنص إلا إذا كان دينيـا أو شـعـريا، وهى لا تمسك به حرصـا على ما يقـوله فحـسب، وإنما على طريقة القـول وشكل الكلام أيضـاً. ومن هنا يصبح توظيف التـراث الدينى فى الشـعر "تعزيزاً قويا لشاعريته ودعما فى حافظة الإنسان"[2] .

---

(١) د. محمد عـبد المطلب: التناص عند عبد القاهر الجـرجانى. علامات ح٣ مارس ١٩٩٢ ص٦٥.

(٢) د. عبد الله أبو هيف: الحداثة فى الشعر السعودى.

ففي القصيدة مواضع عمد فيها إلى "الاقتباس" أو "التضمين" أو "الاستمداد" من القرآن الكريم والحديث الشريف وذلك بقوله في منزلة الرسول ﷺ السامية[1].

١- أَعْلَى الفَرادِيسِ تَحْتَ العَرْشِ مَنْزِلُكُمْ
لَيْسَتْ لِغَيْرِكَ عِنْدَ اللهِ ذِي الكَرَمِ

٢- يَبْدُو جِوَارُكُمُ فِيهَا مُصَدِّقُكُمْ
بالغَيْبِ كَالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ في الأُطُمِ

٣- وَقَابَ قَوْسَيْنِ وَجْهُ اللهِ يَشْهَدُهُ
كَالبَدْرِ يحظَى بِنُورٍ مِنْهُ لَم يُرَمِ

فالبيت الثاني ضمنه الشاعر معنى الحديث الشريف: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله: منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" وفي البيت الثاني اقتبس الشاعر تعبير (قاب قوسين) من قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [النجم]، كما استمد الشاعر من

(١) النص ص٥٤، ٥٥. الأطم: القصر.

القرآن الكريم لبيت يتحدث فيـه عن ادعاء اليهود قبل الإسلام بأن لله سبحانه وتعالى أبناء. قال[1]:

قَـالوا: عُـزيْـرٌ وعـيـسَى ابنَانِ إنَّـهـمـا
عـبـدان حـقًا تعـالى اللـهُ عَن كلِمِ

فقد ضمن هذا البيت الآية الكريمة: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ... ﴾ [التوبة: ٣٠] ليـبين مدى جهلهم ولتأكيد بشريتهما كما أكد الله بشرية محمد ﷺ.

كما أن الشاعر اقتبس آيات من سـورة (العلق) فضمنها بيتا واحداً على هذا النحو[2]:

وبِاسْـمِ مَنْ خَـلَقَ الإنْـسَـانَ مِنْ عـلَقٍ
وبِاسْـمِ مَنْ عَـلَّم الإنْـسَـانَ بـالقـلَمِ

فقد استمد هذا البيت من الآيات : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق].

كما استمـد من بعض رسائل النبى ﷺ إلى الملوك يدعوهم فيهـا إلى الإسلام، وذلك فى قوله الذى اعتمد فـيه على رسالتين

(١) النص ص٥٦.
(٢) النص ص٥٧.

للنبى ﷺ إلى كل من "هرقل" ملك الروم، "وكسرى" ملك الفرس. قال فى سياق إفادته من تحذير الرسول ﷺ فى رسالتين أرسلهما لهما[1]:

وَمَنْ أبَى فَعلَيهِ الوِزْرُ يحَمل مَا
على ظُهورِ الأرِيسيِّن مِنْ إثمِ
كِسْرَى أتاهُ كتابٌ مِنْكَ يُرشِدُهُ
فَمزَّقَ الله مُلْكَ عَابدِ الحُطَمِ
إلى هِرَقْلَ عَظيمِ الرُّومِ مَألُكَةٌ
فَنَال كِفْلَيْنِ بِالمخْتارِ وَالعَلَمِ

فقد اعتمد فى هذه الأبيات على نصىّ الرسالتين؛ ففى البيت الأول جاء اقتباسه من رسالته ﷺ إلى ملك الروم وهذا نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد. أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم. أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به

(١) النص ص٥٨، ٥٩.

شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون"[1].

فقد أفاد الشاعر فى البيت الأول من تحذير الرسول ﷺ لهرقل الخاص بـ"الأريسيين" أو رعاياه من "الفلاحين". وفى البيت الثانى أفاد من رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى ملك الفرس الذى كان ردّه على الرسالة عدائيا، حيث مزق الرسالة أمام "مبعوث" النبى ﷺ، وتلفظ أمامه بكلام غير لائق. فلما بلغ ذلك النبى ﷺ قال: "مُزق ملكه" ونص الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم الفرس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله عز وجل. فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم. فإن أبيت فعليك إثم المجوس"[2].

---

(١) أحمد ذكى صفوت: جمهرة رسائل العرب ١/ ٣٤. بدعاية الإسلام. بالكلمة الداعية إلى الإسلام. يؤتك أجرك مرتين: لإيمان أتباعك بسبب إيمانك أو لإيمانك بعيسى ثم بى. الأريسيين: رعاياه من الفلاحين.

(٢) جمهرة رسائل العرب ١/ ٣٤. إثم المجوس: إثم أتباعك ورعاياك.

وقد رد كسرى على هذه الرسالة بقوله غاضبا: "يكتب لى هذا وهو عبدى"[1]. نقل هذا القول عبد الله بن حذافة السهمى إلى الرسول ﷺ، كما نقل إليه أن كسرى قام بتمزيق الرسالة. ومن ثم قال الرسول ﷺ قولة تحققت بعد سنوات قليلة فى عهد خليفته أبى بكر الصديق "مُزّق ملكه"[2]. وقد اقتبس الشاعر هذا وذاك فى البيت الثانى فقال:

كِسْرَى أتاهُ كتابٌ منكَ يُرشِدُهُ
فَمزَّقَ الله مُلْكَ عَابدِ الحُطَمِ

كما أفاد من القرآن الكريم فى أبيات تصور حال المنافقين خلال غزوة الخندق. قال[3]:

١- مَرْضَى كَأنَّهمُ خُشْبٌ مُسنَّدةٌ
لاَ خيرَ فيهمْ وهُمْ لِلخَيْرِ فى رَغَمِ

٢- وينْفقونَ لعَلَّ المالَ ينفعُهُمْ
ويكْدمُونَ به فى غَيْرِ مُكتَدَمِ

٣- إنْ أخْفَقَ القومُ سُرُّوا فى نكُوصِهِمُ
أو حققوا النصرَ سيئُوا سوأةَ السَّدَمِ

(١) السابق ص٣٦.

(٢) السابق ص٣٦.

(٣) النص ص٦٥.

٤- لا تُعجبنَّكَ أموالٌ لهم كَثُرتْ
ولا عديدٌ من الأولادِ والرؤمِ

فقد أفاد فى البيت الأول من قوله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ...﴾ [المنافقون: ٤] وأفاد فى البيت الثانى من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾ [التوبة]، وأفاد فى البيت الثالث من قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)﴾.

ومن البين أن وظيفة هذه الاقتباسات تنحصر فى إزالة الفواصل والحدود بين النص والنصوص المقتبسة، ذلك أن الشاعر عمد إلى صوغها فى سياق هذه المواضع المحددة من القصيدة ليفتح بها آفاقا دينية وتاريخية، فتمكن بذلك من جعل هذه المواضع حافلة برؤى وأصوات متعددة.

والواقع أن هذه الوسائل الفنية التى أفصحت عنها بعض مواضع هذه القصيدة (إلى جانب وسائل أخرى مثل: "الحذف الإيجابى" و"التضاد الفنى" و"التعاقب الصوتى" و"الاستطراد المسوّغ") - أمدّت "المعارضة السجالية" بقوة إضافية عززت

"الخطاب الإبداعى الخاص بالمدائح النبوية" التى ستكون على الدوام منطقة جذب للشعراء والنقاد على السواء. ذلك أن "الكتابة" فى المدح النبوى وعنه تكون صادرة عن حب عميق لحبيب أسمى. هو حبيب الله جلّ شأنه.

حُبِّى لأَحْمَدَ أَعْلَى مَا يُمَاثِلُهُ
حُبٌّ لَهُ بَعْدَ حُبٌّ اللهِ تَكْمِيلُ
هَلْ بَعْدَ طَهَ حَبِيبٌ فِى بَسِيطَتِنَا
وحُبُّهُ فِى شَغَافِ القَلْبِ مَجْبُولُ[1]

المحبّ لمسيرته، الراغب فى رؤيته:

حسن البنداري

---

(١) من قصيدة نهج بردة كعب بن زهير لعبد الغفار هلال ط (١) مكتبة وهبة عام ٢٠٠٠ ص ٤٧- ٤٨.

التعريف بالإمام البوصيرى وبردته

ولد الإمام البوصيرى بإحدى قرى بنى سويف وتسمى (دلاص) وكانت منها أمه، وأبوه من قرية أخرى فى بنى سويف أيضا تسمى (أبو صير)، وركب منهما اسم له هو (الدلاصيرى)، ثم اشتهر بالبوصيرى.

وقد ولد - كما يذكر صاحب (فوات الوفيات) - يوم الثلاثاء غرة شوال سنة ٦٠٨هـ وقيل غير ذلك.

حفظ القرآن الكريم فى مطلع حياته، ثم درس العلوم الدينية، والعربية، بعد ما انتقل إلى القاهرة، وتقلد عدة وظائف.

وكانت له معرفة بالتصوف وتتلمذ على أبى العباس المرسى.

وله قصائد فى مدح رسول الله ﷺ، أجودها (البردة، أو البرأة) وكانت تسمى (الكواكب الدريّة فى مدح خير البريّة)، وقد تحدث عن سبب نظمها قال: (كنت قد نظمت قصائد فى مدح رسول الله ﷺ... ثم اتُّفِق بعد ذلك أن صاحبنى (فالج) أبطل نصفى، ففكرت فى عمل قصيدتى هذه فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى فى أن يعافينى، وكررت إنشادها، ودعوت،

وتوسلت، ونمت، فرأيت النبى ﷺ، فمسح وجهى بيده المباركة، وألقى علىَّ بردة، فانتبهت، ووجدت فىَّ نهضة فقمت، وخرجت من بيتى، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقينى بعض الفقراء (الصوفية) فقال لى: أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ﷺ، فقلت: أيُّها؟ فقال: التى أنشأتها فى مرضك وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة، وهى تنشد بين يدى رسول الله ﷺ، وألقى على من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك وشاع المنام*

وقد استغرب هذه القصة بعض الكاتبين عن البوصيرى ونفاها، ورماها بالزعم، وأنا أقول كما يقول الصوفية: (من ذاق عرف).

وحدث لبعض الصالحين كثير من ذلك الذى حكاه الإمام البوصيرى، وسمعت بعضه من الأئمة الواصلين كأستاذى الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله ورضى عنه.

وحدث لى قريب من ذلك حين أنشأت قصيدتى (نهج البردة) على نهج بردة الصحابى الجليل كعب بن زهير رضى الله عنه.

ولا أريد كشف الأسرار، ويكفى أن أؤكد أن رؤيا رسول الله ﷺ فى المنام حق.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو كأنما رآنى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى)[1].

ونسأل الله تعالى أن يرفع عنا، وعن المسلمين البلاء، ببركة رسول الله ﷺ وببركة الصلاة والسلام عليه.

وتبلغ بردة البوصيرى اثنين وثمانين ومائة بيت، وقيل: تبلغ ستين ومائة بيت، وهى ميمية من بحر البسيط.

بدأها بالنسيب - على عادة الشعراء - لكنه نسيب الحبّ النبوى، وذكر فيها التنبيه على هوى النفس، ولفت الأنظار إلى أهمية الابتعاد عنه، وأثر الشيطان على النفس الإنسانية، وذكر جانباً من حياة الرسول ﷺ، ومعجزاته، وأهمها القرآن الكريم، والإسراء والمعراج، وذكر الجهاد فى سبيل الله، وحياة صحابته الأجلاء، ودفاعهم عن الدين الحنيف ونشره، وتوسل بالرسول ﷺ وناجاه .

والقصيدة - كما يقول نقاد الأدب - من الناحية الفنية ذات عاطفة جياشة، صادقة، وأسلوب لغوى محكم النسج - فى معظمها - ووصفت أحياناً بالقوة، وأحياناً بخفة الروح، وأحيانا

---

(١) دليل الفالحين ٣/ ٣٢٣.

بقوة السبك، وروعة الخيال، وإن اشتملت على صور منتزعة من البيئة العربية.

وله فيها تأثر بمن سبقه من الشعراء كابن الفارض فى قوله في ميميته:

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلاً بذِى سَلَمِ
أَمْ بَارِقٌ لاَحَ فِى الزَّوْرَاءِ وَالعَلَمِ

وقوله :

يَالاَئِماً لاَمنِى فِى حُبِّهِمْ سَفَهاً
كُفَّ المَلاَمَ فَلَوْ أَحْبَبْتَ لَمْ تَلُمِ

إلى غير ذلك ممن تأثر بهم من الشعراء.

وقد اشتهرت بردة البوصيرى فى الأو[illegible]ط الشعبية والصوفية، وبين جماهير المسلمين؛ لما لها من اثار فى الأدب والتاريخ والأخلاق.

وقد اهتم بها الشعراء فضمَّنوها، وشطَّروها، وخمَّسوها، وسبَّعوها، وعشَّروها، وعارضوها، وقد عارضها عشرات من الشعراء حتى قيل: (إن جميع المدائح النبوية التى قيلت بعد البوصيرى - على الوزن والقافية - كان أصحابها مسوقين بالروح البوصيرية، وأشهر من عارضوها حديثا محمود سامى البارودى

وأحمد شوقى[1] وستكون قصيدتى المذكـورة معارضة لها إن شاء الله تعالى .

وشرح بردة البوصيرى كثير من العلماء

وقد اختلف فى تاريخ وفاته فقيل: سنة ٦٩٥ هـ أو ٦٩٦هـ أو ٦٩٧هـ، والراجح أنه توفى بالإسكندرية، وله قبر مشهور فيها يتصل به مسجد كبير تدرس به العلوم الإسلامية[2].

طول الوقوف على باب الحبيب[3]

هذه القصيـدة - نهج البردة أو البرأة التى أضـعها بين يدى المتأمل فيها، والقـارئ لها - هى لطول الوقوف على باب الحبيب سيـدنا محمد ﷺ، فـقد وقفت على بابـه من قبل، حين نظمت قصـيدتى اللاميـة، فى الحب النبوى، مؤتـسيا بالصـحابى الجليل كعب بن زهير رضى الله عنه.

---

(١) المدائح النبوية فى الأدب العربى د. زكى مبارك ص١٧١ - ٢٠٧.

(٢) المدائح النبوية ص١٧١ التعليق.

(٣) استلهـمت هذا المعنى من قول ابن نبـاتة المصرى جـمال الدين محـمد بن محمد (ت ٧٦٨ هـ) فى معارضته لبردة كعب بن زهير:

إِنْ كَانَ كَعْبٌ بِمَا قَدْ قَالَ ضَيْفَكَ فِى ... دَارِ النَّعِيمِ فَلِى فِى البَابِ تَطْفِيلُ

وطول الوقوف على باب الحبيب إنما يكون من قبيل السعادة التى تكتسى بها روح المحب، وتنفذ أشعتها الطاهرة النورانية بين شغاف القلب فيتوقد بها الفؤاد الهائم.

هذا النور المحمدىّ الذى هو (القبضة المحمدية) التى منها تضيء الأكوان ولولاها ما خلق الإنسان، كما قال ﷺ: (كنتُ نبيا وإنَّ آدم لَمُنْجَدلٌ فى طِينَتِه)، وكما قالت صاحبة الشرف، وحاملة مشعل النبوة بالنبى الخاتم، أم الحبيب السيدة آمنة بنت وهب - رضى الله عنها - : قالت حين حملته ووضعته ﷺ:- (رأيت نوراً خرج من بطنى فأضاء قُصور بُصرى بالشام).

وقد قلت فى هذا النور المحمدىّ فى لاميتى:

فَنُورُهُ مُفْرَدٌ جَادَ الإله بِهِ
عَلَى البَرَايَا ومنْ عَلْيَاهُ منقولُ

وقلت فيه أيضاً فى ميميتى:

وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ مِنْ أنْوار قَبْضَتِكُم
لَوْلا سَنَاكُمْ بُنَى الأكْوانِ لَمْ تَقُمِ

طول الوقوف لما رأيت من السعادات التى شملنى بها الله سبحانه وتعالى، لحبى لحبيبه سيدى وسيد الأولين والآخرين محمد ﷺ.

طول الوقوف لما حدث لصاحب البردة الأول كعب بن زهير من دخـوله فى الإسلام، وتغلغل أنواره فى حنايا قـلبه والفـتوح التى توالت عليـه، بعـفو رسـول الله ﷺ، ومنحـه مـا لم يمنح غيـره من شرف حـيازة بردة رسول الـله ﷺ التى خلعهـا عليه، وظلت، فى عـقبه، مـجال ثَناء علـى مَنْ كرمه رسـول الله ﷺ أعظم تكريم، لدخوله فى دين الله الخـاتم على يدى النبى الخاتم ﷺ .

فـأردت أن أقـف مـثله على هـذا البـاب الذى تفـتح به البركات، وتتوالى النفحات الربانية والمحمدية.

ومَا رَاء كَمَنْ سَمعَا

طول الوقوف لما حدث لَصاحب الَميمية الإمام البوصيرى من نعمة الشـفاء الذى منَّ الله سبحـانه وتعالى به عليه، بشـفاعة من شفاعات المصطفى ﷺ، بعد أن أعلن اسـتشفاعه إلى الله تعالى، وعطَّر قلبه، ولسانه، وقلمه، بحب الحـبيب صلوات الله وسلامه عليه.

ولما أرجوه من شـفاعة المصطفى الحـبيب بشفـاء الله تعالى سقامى، وآلامى، وتحقيق سعادتى، فى الدنيا والآخرة، أردت أن يطول وقوفى، مثل ما وقف هذا الإمـام الصوفى الجليل حتى رأى (ما لا عين رأت) بما يتنزل من عالم الملكوت الأقدس.

ولست أدعى لنفسى شيئاً إلا أننى مُقَصِّر، ومُذنب يقف على باب الله تعالى تائباً، مستشفعا، راجياً أن يفتح لى باب القبول، فأنال عفو الله تعالى، وشفاعة الرسول الحبيب ﷺ.

وكلٌ من يمدح رسول الله ﷺ تتغشّاه الأنوار، ويدخل فى عالم الأسرار، ويعيش فى أسعد جوار.

وإذا كان ما يقال - بعد الوفاة - رثاء فإنه بالنسبة للرسول ﷺ يعد مدحاً، لا رثاءً لأن حياة الرسول ﷺ موصولة، حتى بعد ما لحق بالرفيق الأعلى، فقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: (حياتى خيرٌ لكم، ومماتى خيرٌ لكم، حياتى خير لكم تُحدِّثونَ وأُحدِّث لكم، ومماتى خيرٌ لكم تُعرَض علىَّ أعمالُكم، فإن رأيتُ خيراً حمدت الله، وإن رأيت شرا استغفرت الله لكم).

وكان أبى - رحمه الله ورضى عنه - يرى رسول الله ﷺ كل ليلة، وبعد صلاة الفجر يقول لى : (يا ابنى كنتُ مع المحبوب)! فأسأله مَنْ؟ فيقول: رسول ﷺ، فأقول له كيف رأيته؟ فيقول (كالبدر ليلة التمام)، وكانت أمى - رحمها الله ورضى عنها- على حب عظيم لرسول الله ﷺ.

وكنت حينئذ طالباً بالأزهر الشريف، فرجوت أن أرى رسول الله ﷺ، وكنت أتوضأ وأنام على وضوء لعل رسول الله

ﷺ يتعطف عليَّ بزورة، وأمدّ يدى على مكان النوم، لعله ﷺ يصافحنى بيده الشريفة، وأخذت أنظم القصائد فى مدح رسول الله ﷺ وأقول:

أَمُدُّ يَدِي تُصَافِحُهُ وَحَسْبِي
بِأَنْ تَمْتَدَّ لِي يَدُهُ بِلَمْسِ

وأقول :

هَذَا الضِّيَاءُ يَمُرُّ فِي أَفْكَارِي
مُتَجَدِّداً قَدْ بَاحَ بِالأَسْرَارِ

إلى غير ذلك من مواجيد وتباريح هوى رسول الله ﷺ، وهيهات ينال المحب من محبوبه كل ما يريد.

وكلٌّ من يحب الله ورسوله سيدنا محمداً ﷺ تشمله عناية الله، ويحيا فى أمن وسعادة، لا يحس بها غيره، كما قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

وكل من يتعلق بحب رسول الله ﷺ، ويردد مدائحه يكون - إن شاء الله - مشمولاً بالرعاية، والعناية الإلهية، وكما يقول ﷺ - فيما يرويه عن ربه عز وجل عن مجالس الذكر ومن يجلس قريباً من الذاكرين ـ يقول رب العزة جل وعلا: أُشْهِدُكُمْ يا ملائكتى أنى قد غفرت له، هُمُ الجلساء لا يشقى بهم جَلِيسُهم)

أسأل الله تعالى أن يُكرمنى، وأن يكرم والدىَّ، وأخواتى، وإخوتى وأولادى، وزوجتى، وسائر أهلى، والمسلمين، والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ببركة رضاه، ورضا رسول الله ﷺ، وبركة القرآن العظيم، وسنة رسوله الكريم ﷺ .

وأسأل الله تعالى أن يجعل حياتنا، وقبورنا، مملوءة نوراً ببركة الرسول السراج المنير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]، وكما قال ﷺ: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله تعالى يُنوِّرها لهم بصلاتى عَلَيْهِمْ».

وصلَّى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وصحبه، والتابعين، وتابعى التابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نهج البردة (البرأة)

مسيرة شعرية على هدى بردة الإمام الصوفى الجليل
شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى
رحمه الله تعالى ورضى عنه

سكَبْتُ دمعِي على شيبٍ مِنَ اللَّمَمِ
وذَكَّرتْنى شبابَ اللَّهوِ واللَّمَمِ

يومانِ : يومٌ لِدُنْيا ناضرٌ غرِدٌ
ويَومُ أخرى يُدانِينِى مِنَ الهَرَمِ

سِرْتُ الهُوَيْنَى معَ الأحلامِ مُبتسمًا
وأسْلمتْنِي لِثَغرٍ غَيرِ مُبتَسِمِ

كَانَتْ هُنَالِكَ نَجْوى منْ مُخَبَّأةٍ
وراءَ قَصْرٍ جَثَا للدَّهْرِ مِنْ إرمِ

أذُوقُ حُلوَ حياةٍ أشْتهِى سَكَراً
واليومَ عِفْتُ لذيذَ السكْرِ والنَّهَمِ

هُنَاكَ حَيْثُ رياضُ الحُبِّ وارِفَةٌ
والقَلْبُ رَيَّانُ بالأشواقِ والحُلُمِ
أَيْنَ الرِّيَاضُ ؟ وأينَ الحبُّ؟ قد غربتْ
شمسُ الأحبَّةِ وارتَها يدُ الظُّلَمِ
وَاللَّيلُ طالَ وأدمَى مُهجتى وَسَجَا
وصِرتُ فى طيِّهِ شَيْئًا منَ العَدَمِ
أَرْجُو النَّجاةَ وأينَ الفُلْكُ ؟ قَدْ مَخرتْ
عُبَابَ فكرِى تَبَاريحُ الهَوى العَرِمِ
هَوى الرَّسُولِ هَوَى المختَارِ قدْ عبِقَتْ
بِهِ النَّسَائِمُ يا بُشْرى لِمُنْتَسِمِ

***

هَوِيتُه فِى لِقاء الذَّرِّ مُخْتَفِياً
بنُوره قَبلَ كُلِّ الخَلقِ والنَّسَمِ
ومُذْ دَرَجْتُ عَرِفْتُ النُّورَ مُخْتَرِقًا
غَيَاهِبَ النَّفْسِ بِالأخْلاقِ والشِّيَمِ
أحْسَسْتُه فى كِيانِى طاعَةً مَلأتْ
جَوَانِحى بصَحيحِ الدِّين والقِيَمِ

آمنتُ باللّهِ ربِّ النَّاسِ قَاطبةً

وخَاتِمِ الرُّسْلِ هَادِي سَائِرِ الأُمَمِ

إلى جميعِ الورَى والجنِّ دعوتُهُ

وسائر الملأ الأعْلَى وكُلِّ سَمِي[1]

لَمَّا شَبَبْتُ عرفتُ الحبَّ معرفةً

أُخْرَى بِفَهْمٍ غَيْرِ ذِي سَقَمِ

حُبٌّ تَطهَّر بالإيمانِ ما عَلِقَتْ

به الشَوائِبُ مِنْ رِجْسٍ ولاَ صَنَمِ

***

والشَّمسُ والبدْرُ مِنْ أنْوَارِ قَبضَتِكمْ

لولا سَنَاكُمْ بَنَى الأَكْوانِ لم تَقُمِ

النُّورُ نُورُكَ فى الأَرْجَاء مُشْتَمِلٌ

ودُونَكَ الكونُ لا يَمْشِي على قَدَمِ

يَا أكْملَ الخلقِ قَدْ صدَّقْتُ دَعْوَتَكُمْ

صدَّقْتُ ما جاءَ فى القُرآنِ مِنْ كَلِمِ

(١) انظر تفسير الألوسى ج ٥ ص ٢٢٢. كما هو صريح قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفرقان] إذ العالم ما سوى الله تعالى، وخبر مسلم: "وأرسلت إلى الخلق كافة".

وَقَــدْ أخَـــذْتُ بِمـــا آتيتَ منْ سُنَنٍ

ومــا نهَــيتَ انتَــهَــيْتُ جـدَّ مُلْتَـزِمِ

آمنتُ بِالغَــيْبِ لم أسْعَـد بِصُـحْـبتكُمْ

إلا شـــهـادَةَ سَــمْعٍ غــيـرِ ذِى صَـمَمِ

ورُؤية القـلبِ أنوارَ الحــقـيــقـــةِ فى

نُورِ الشــريعـةِ مِــمَّا جئتَ منْ حِكَمِ

أعْلَى الفَــراديسِ تَحْتَ العَـرشِ مَـنْزلكُمْ

ليْــسَتْ لِـغَــيــركَ عِنْدَ اللهِ ذِى الكَرمِ

يَنْــدُو جِــوَاركُمُ فــيـهــا مُــصَــدِّقُكُمْ

بالغَيْبِ كَـالكَوْكَبِ الدُّرِّىِّ فى الأُطُمِ(١)

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: "إن أهل الجنة لـيتراءون أهل الغرف من فوقـهم كما تراءون الكوكب الدرىّ الغـابر فى الأفق من المشرق أو المغـرب لتفـاضل ما بينهم، قـالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبـياء لا يبلغهـا غيـرهم، قال: بلى: والذى نفسى بيـده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. مـتفق عليه، وبلى فى الحديث هى جـواب وتصديق، ومـقتضى المقـام أن يكون الجواب بالإضراب عن الأول، وإيجـاب الثاني، أى أملها رجـال، أو هم رجال أو بمعنى نعم، فـالتـقدير: نـعم هى منازل الأنبيـاء بإيجـاب الله تعـالى لهم كذلك، ولكن قد يـتفضل على غيرهم بالوصـول لتلك المنازل، أو جواب النفى فى قولـهم لا يبلغها غيرهم فـكأنه قال: يبلغها رجال غـيرهم. دليل الفالحين ٤/ ٧٥٦. والأطم بضمة وبضمتين: القصر. القاموس ٤/ ٧٦.

وَقَابَ قَوْسَينِ وَجْهُ اللهِ يشهدُهُ

كالبَدْرِ يحظَى بِنُورٍ مِنْهُ لم يُرَمِ

***

أحْبَبْتُ آلَكَ لَمَّا قُلْتَ حُبُّهُمُ

فَرضٌ ومَنْ يَقُمْ بأداءِ الفرضِ يَسْتَقِمِ

أَهْوى الحُسينَ وأهْوى مثله الحسنَا

ومَنْ يُحبَّ حبيبَ اللهِ يَسْتَهِمِ

فحُبُّ ربِّكَ موصُولٌ يحُبِّهِمَا

وللمُحبِّينَ فيهِ مِثْلُ حُبِّهِمِ

رَيحَانةٌ مِنْ رسول الله جَدهما

تَفوح بالرَّوْحِ للأرْوَاحِ كَالنَّسَمِ

أوْصَى عَلِيًّا وأمَّ العطفِ فاطِمَةٌ

بحفظِ رَيحَانَةِ الإيمانِ والسَّلمِ

وبُضْعةٌ منْ رَسولِ الله فاطِمَةٌ

سادَتْ سَراةَ نِسَاءِ الخُلْدِ بالرَّحِمِ

عليٌّ الزَّوْجُ نِعْمَ الزَّوجُ كَرَّمَهُ

رَبُّ البريَّةِ وجْهاً أنْضَرَ الكرَمِ

مُطهَّـرُونَ منَ الأرْجَـاس مَـعـدنهُمْ
خَيـرُ المعـادِنِ بين النَّاسِ فـى السَّنَمِ[1]

***

قَـبلَ الرِّسـالة ضَلَّ الناسُ وانـحـرفـوا
وبـدَّلُوا صـادق الـتَّـنـزيلِ بـالزَّعَـمِ
وألَّهُـوا العـجلَ والأصنَـامَ وانْغـمـسُـوا
فى عَـمَـه الجـهْلِ والـطاغُـوتِ والوهَمِ
قَـالوا: عُـزيْـرٌ وعيـسَى ابنَانِ إنَّـهـمـا
عـبـدان حـقـا تعـالى اللهُ عَـن كلِمِ

(١) قال رسول الله ﷺ فى تفسير قوله تعالى : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] تودون لى قرابتى، والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله، وقرابتى علىٌ وفاطمة وولداهما".
وقال ﷺ لعلىٌ : "أنت منى وأنا منك". وقال "إنما فاطمة بُضعة منى يؤذينى ماآذاها".
وقال ﷺ : "من أبغضنا أهل البيت فهو منافق يساط يوم القيامة بسياط من نار".
وفى البخارى : قال أبو بكر : "ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته".
وفى الترمذى: قال ﷺ "وتارك فيكم كتاب الله وعترتى - أهل بيتى"
وقال: "أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى".

يَاسيِّدَ الرُّسْلِ أَسَّسْتَ الحياةَ علَى
نُورٍ مِنَ اللهِ والإحسانِ فِى الحِكَمِ

عَلَّمتنَا دِمثَ الأَخلاقِ فِى سَعَةٍ
وفِى سَماحٍ بِرُوحِ الصَّفحِ مُتَّسِمِ

أتممتَ لِلأُمَّةِ الأخلاقَ ترفعُها
على الحضارةِ تعلُو شامِخَ القِمَمِ

فنزَّلَ اللهُ قُرآنًا تصدِّقُهُ
آيُ النَّبيينَ حبلاً غيرَ مُنجذِمِ

جبريلُ يوم حراء ضمَّ صدرَكُمُ
والقلبُ غِينَ عليهِ نُورُ ذِكرِهِم[1]

وباسْمِ ربِّك قال: (اقرأ) يُعلِّمُهُمْ
مَا ليسَ يُعلَمُ فى آفاقِ كَونِهِم

وبِاسْمِ مَنْ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ علَقٍ
وبِاسْمِ مَنْ عَلَّم الإنسانَ بِالقَلَمِ

---

(١) غِين على قلبه غَيْناً : غطِّى عليه، وغِينَ على الرجل كذا : غُطى عليه أو غُشِى عليه والغين: الغيم. وفى الحديث، (إنه ليُغَانُ على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة. اللسان : ١٩٣/١٧ . والقاموس ٢٥٦/٤

صَدَعْتَ بالأمْرِ بعدَ السِّرِّ تُعلِنُهُ

حتى اهتَدى النَّاكِبُونَ عَنْ صِراطِهِمِ

أفْحمْتَهُمْ بِحجَاجٍ منْ سَمَاحَتكُمْ

وَواسِعٍ مِنْ جَميلِ الصبّرِ للخَصِمِ[1]

أخْمدْتَ ناراً منَ الطُّغيانِ ثائِرةً

بِصَيِّبِ العَقلِ وَالقَولِ النَّدِي الرَّخِمِ

زَلَّ النَّدِيُّ وَزَلَّتْ دارُ نَدْوتِهِمْ

فمكرُ ربِّكَ بالمرصَادِ لِلُّؤمِ

***

مَا قُمْتَ بالسَّيفِ تدعُو بلْ بمألُكَةٍ

إلى الملُوكِ بلا جَوْرٍ ولاَ رَغَمِ

إنْ أسْلَمُوا سَلِمُوا يُؤْتوا أجُورَهُمُ

كِفلَيْنِ إنْ آمنُوا بالعَاقِبِ الخَتِمِ

وَمَنْ أبَى فَعلَيهِ الوِزْرُ يحَمل مَا

على ظُهورِ الأريسِيِّينَ مِنْ إثِمِ

---

(١) الخصم : شديد الخصومة والمخاصم، والخصومة: الجدل.

كِسْرَى أتاهُ كِتابٌ مِنْكَ يُرشِدُهُ

فَمزَّقَ اللهُ مُلْكَ عابِدِ الحُطَمِ[1]

إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ مَالُكَةٌ

فَنَالَ كِفْلَيْنِ بِالمخْتارِ وَالعَلَمِ[2]

---

(١) في كتابه، ﷺ إلى كسرى : "إن أبيت فإنَّما عليك إثم المجوس" وهم عبدة النار والحُطَم: يقصد بها جهنم كالحطمة، ومجوس معرب منج كوش : اسم رجل قيل إنه أول من دان بالمجوسية ودعا الناس إليها، والمجوس يؤمنون بالأصلين: النور والظلمة، فالخير منسوب إلى النور والشر منسوب إلى الظلمة. اللسان ٨/ ٩٩، ١٥/ ٤٦، ٤٧.

(٢) كتاب الرسول ﷺ إلى هرقل، قال في آخره : إن أبيت فعليك إثم الأريسيين" . والأريسُ والأرِّيسُ : الأكّارُ، أرَّس يؤرِّس تأريسًا : إذا صار أكّاراً "أي فلاحاً" وهو من كلام أهل الشام، والأريس، الأمير والأصل فيه رئيس من الرياسة، والمؤرِّس : المؤمَّر، فقلب أو أن المؤرِّس، المؤمَّر عليهم. والجمع الأرِيسون - بكسر الراء مع التخفيف والتَّشديد .ويروى بتشديد الياء (الأريسيُّون).

قيل : إنما قال ﷺ (فعليك إثم الأريسيين) (أو اليرسيين) لأن الأكارين كانوا عندهم من الفرس وهم عبدة النار من المجوس.

أي: فعليك إثم الأمراء المسئولين عن هداية الناس لأن الناس يطيعونهم. أو المراد: إثم الذين أضلوهم ولم يهدوهم.

والمراد بالعلم عيسى عليه السلام - أخذا من قوله تعالى (وإنه لعلم للساعة)، على قراءة (لعَلَمٌ)، أى علامة لقيام الساعة بنزوله آخر الزمان وقتله المسيخ الدجال.

اللسان : ٧/ ٣٠٠، ٣٠١.

وَللمُـقَـوْقسِ تَـدعُـو مِـنْ خُـئُـولـتِكمْ

من استـجـابَ إلى التَّوحـيـد مِن قِـدَمِ

وللِنَّجـاشِيِّ بُشْــرَى فى كــتـابكُمُ

تُخَلِّـصُ النَّاسَ مـمَّــا حَـاقَ مِـنْ ظُلُمِ

عَـمرٌو وصــاحـبُـهُ رَامَـا مُـهَـاجِـرهُمْ

أنْ يسْـتَــردَّ إلى التَّـعــذيبِ والخَـدَمِ[1]

وَجَـعـفـرٌ نطَـقَـتْ بِالوَحْى خـطبَـتُـهُ

عنـد النَّجــاشِـيِّ قَـــول الحَقِّ لم يُـلمِ

لم يَغْـدُ عيـسَـى بآى الذكـرِ مــا نَزَلَتْ

به الحـقـيـقـةُ فِى أسـفَـارِ عَـهْـدِهِم

وَرَدَّ رِشْــوَتَـهـمْ لَّـمـــا رَأى كـــذبًا

علـى الملـيكِ ولمْ يُـخـدَعْ بِـمكْـرِهِمِ

عــادًا بِخُـفَّـى حُنَينٍ شـاهَ وجْـهُـهُـمَـا

ومَنْ يـلذ بِجـنَابِ الـله يَحْــمِــهِم

***

(١) القيود

يُحَرِّمُ الدِّينُ قَتْلَ النَّفْسِ مُؤْمِنَةً

أوِ غيرَ مُؤْمِنةٍ حَقْنًا لقُدْسِ دَمِ

جاءَ النَّبِيُّونَ بالآياتِ كُلُّهُمُ

يُحَرِّمُ القَتْلَ بالعُدْوانِ وَالظُّلْمِ

حُرِّيَّةُ المرْءِ فِى فِكْرٍ وَمُعْتَقَدِ

منْ غيرِ إسْلامِهِ ضَرْبٌ مِنَ الوَهَمِ

(مُحمدٌ) مِثْلُ رُسْلِ اللهِ أنقذَهمْ

منْ وَهْدَةِ الشِّرْكِ والتَّضْليلِ وَالغشَمِ[1]

(مُحمدٌ) جَاءَ والأقوامُ سَائمةٌ

مِثلَ البهائمِ مِنْ ذئبٍ ومِنْ غَنَمِ

شَريعةُ الغَابِ أجْلَتْها شَرِيعتُهُ

وأجْفلَ الشَّرُّ مِنْ عَادٍ ومُنتَقِمِ

العَدْلُ سَادَ وكُلُّ النَّاسِ قدْ أمِنوا

وغيرَ حُبٍّ جَميعِ الناسِ لم يَرُمِ

الدِّينُ والنَّفْسُ والعِرْضُ المصُونُ لهُمْ

والعقلُ والمالُ كُلٌّ غيرُ مُنقَسِمِ[2]

---

(١) الهلاك.

(٢) الضروريات الخمس.

كمْ كـانَ يَرْهبُهُ الأعـداءُ إن سَمِـعُوا

بسيـره وَهُمُ فى عُـقْـرِ دَارِهِم

وقَـادَ أمَّـتـهُ للمـجْـد ذَائدَةً

عَنْ حَـوْضِـهاَ قَـزَمًـا شَلَّتْ يدُ القَـزَمِ[1]

غَـزَاهُمُ فـأَتَى بُنْيَـانَ إفكِـهِمُ

مِنَ القَـواعِـدِ إِصْـلاَحًـا لِمُنْهـدِمِ

مَشـى إلِيـهمْ وَأوْرَى زنْـدَ حكمـتـه

وَصَـدَّ عُـدْوانَهُمْ بِالبَـذْءِ والدَّهَمِ[2]

يسْتـأصلُ الشَّـرَّ مِـنْ أعـمـاق تُربَتِـه

ويبْـذُرُ الخَـيْـرَ فى أرْجَـاءِ نَفْـسِـهِمِ

ويومَ (بـدْرٍ) أذَلَّ الحقُّ شـركَـهُـمُ

وفى القَـليبِ أراهُمْ خُـسْـرَ مُنهـزِمِ

وَقَـادَ جِـبـريلُ جُنْدَ الـله مُـمْـتَطِيًـا

(حَـيزُوم) تُوزِعُ فِيـهمْ سـائرَ الحُـزُمِ[3]

---

(١) القَزَم : اللئيم الدنىء، وأرذال الناس وسفلتهم.

(٢) دَهَمَهم الأمرُ : غشيهم، والدَّهْم : خلق الله.

(٣) حيزوم : فرس جبريل تقود خيل الجند.

وَفى وَغَى أُحُدٍ كـانَتْ شكيمتُهُمْ

أقْوَى ثَباتًا بكَرِّهِم وَ فَرِّهِمِ

يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ معًا أُحُدٌ

صَدِيقُ بِرٍّ لَنَا فى كُلِّ مُقتَحَمِ

وَحينَ يَمَّمتِ الأحْزابُ ساحَتَهُمْ

وحدَّثوا النَّفْسَ فى وثْبٍ إلى إضَمِ[1]

جَاءُوا بِعشْرةِ آلاف عَديدُهُمُ

مُسربلٌ بحَديدٍ صَاحِبِ اللُّؤُمِ[2]

مِنْ أَسْفَلِ القَوْمِ أو مِنْ فوقهم زحَفُوا

تَزِيغُ أبصارهُمْ والقَلبُ فِى زَأَمِ[3]

سَلمانُ بثَّ نبيُّ اللهِ خُطَّتَهُ

فى خندق لِجُمُوعِ البَغْيِ مُلْتَهِمِ

أخْدُودهُ لِحُتُوفِ الظُّلمِ مُحتَفَرٌ

خطُّوا بأيديهِمُ أُعْجُوبَةَ التَّلَمِ[4]

---

(١) من أسماء مدينة رسول الله ﷺ.

(٢) اللؤُم : جمع لأمة والمراد الدروع.

(٣) زأم الرجل : فزع واشتد ذعره.

(٤) التلم : كل أخدود من أخاديد الأرض.

ومِنْ حَـوالَيْـهِ عَـيْنُ الجُند سـاهِرَةٌ
سُـيُـوفُـهُـمْ تقطَعُ الأوداجَ بالـلَّتَم[1]

فكَانَ مـقْـبـرةً ذاقـوا مـرارتَهَـا
اللـهَ اللهَ فـيـهم أخـذَ مُنْتَـقِمِ

وأرسَلَ اللـهُ رِيحًـا لم تـدعْ أحَـداً
إلاَّ كـأيدى سـبَـا والنُّوقِ وَالغَـنَمِ

والمرسـلاتُ جنُّودُ الله تَـطعـنُهُـمْ
فى كلِّ ظهْـرِ بِدَقٍّ السُّـمْرِ مُنْقَـصِمِ

اللـهُ أكـبـرُ يحـمى من يُناصِـرُهُ
اللهُ أكـبرُ فـيـها خيـرُ مـعـتَـصَمِ

***

يَهُـودُ لا يَرْعـوُونَ عَنْ خِـيـانَتِـهِمْ
ونَقْضِ مِيثَاقِـهِمْ فى غَيـرِ مُحتَشَمِ[2]

فِى غَـزْوةِ الخَنْدقِ اجـتـثُّـوا مُعَـاهدة
وحـالفُـوا عُـصْـبـةَ الكُفَّـار من زُحَمِ[3]

---

(١) اللتم : الطعن فى النحر.
(٢) أى : فى غير حياء.
(٣) اسم من أسماء مكة المكرمة ويقال بالراء أيضاً.

وَحكَّم اللهُ سعداً فيهمُ فقَضَى

الأهلُ للسَّبْى ثُمَّ القَومُ للرَّجَمِ[1]

وَالخَادِعُونَ فإنَّ الله يَخدعُهُمْ

واللهُ يكْشفُ زيْفَ الإفْكِ والخَتَمِ[2]

مَرضَى كَأنَّهمُ خُشبٌ مُسنَّدةٌ

لاَ خيرَ فِيهمْ وهُمْ لِلخَيّرِ فى رَغَمِ[3]

ويُنْفقونَ لعَلَّ المالَ ينفعُهُمْ

ويكْدمُونَ بِهِ فى غَيْرِ مُكتَدَمِ[4]

إنْ أخْفَقَ القومُ سُرُّوا فى نكُوصِهِمُ

أو حققوا النصرَ سيئُوا سوأةَ السَّدَمِ[5]

---

(١) القوم المراد بهم الرجال والرجم القتل.

(٢) الختم : التغطية على جرائمهم.

(٣) الرغم : الكره.

(٤) يقال: كَدمْتُ فى غير مكدم : لمن يطلب حاجة لا يطلب مثلها، والمعنى يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾ [التوبة].

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)﴾ [التوبة] والسَّدم : الهم والحزن.

لا تُعجبنَّكَ أمْوالٌ لهم كَثُرتْ

ولا عديدٌ من الأوْلادِ والرؤْمِ[1]

يُعذّبونَ بها مِنْ سُوء ما عَملُوا

أعمالهُمْ كسرابِ القَاعِ في التَّهَمِ[2]

***

مَوْلايَ ربِّيَ والمختارُ سيِّدُنَا

(محمدٌ) فَهمَا عَدْلي ومُعتصَمِي

كَذاكَ سَائرُ رُسْلِ الله سادتُنَا

فشرعُهُمْ شَرعُنَا في البدْءِ والختمِ

فأنتَ لَبَنَةُ بَيْتِ مُعجِبٍ وُضِعَتْ

فَتَمَّ بالحُسْنِ دينُ الرُّسْلِ كُلِّهِمِ

وأنتَ مِصْبَاحُ هَذَا الكوْنِ صَبَّحَهُ

مِنْ نُورِكَ الصُّبْحُ بعد اللَّيلِ والعَتَمِ

---

(١) رئمت الناقة ولدها أي عطفت عليه والريم الظبي والرؤم، الغنم التي تأبى بيات صاحبها.

(٢) القَاع : جمع القيعة وهي الأرض الواسعة السهلة المطمئنة المستوية ويشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ... ﴾ [النور: ٣٩] .

وَثَوْرَةَ الكُفْرِ أخْمَدتَ السَّعيرِ بِها
وكُنتَ غَيْثاً هُدَى الإيمانِ منْهُ هَمِي
وَسِعْتَ صَدْراً جميعَ الناسِ تأخُذهُم
بِالرِّفْقِ لا بِغليظ القولِ والبرَمِ
وَحَوْلَكَ الصَّحْبُ أبطالٌ جحاجحةٌ
يُفْزِعُونَ العِدَا فى كُلِّ مُصطَدَمِ
ريحُ الجِنَانِ زكَتْ منْها أنُوفُهمُ
والجُرحُ يَشخَبُ مِنْ مِسْكٍ ولَوْنِ دَمِ
هُمُ الكُماةُ ولا يَلقَاهُمُ أحَدٌ
إلاَّ ويَلْقَى المصيرَ المُرَكَّلُ عَمِ

***

كُنُوزُ أُمَّتِكَ العُظْمَى مُبَدَّدَةٌ
ولاَ رِبَاطٌ ولا ضَرْبٌ يدَ الحُذُمِ(١)
وَدَنَّسَتْ قُدْسَ الأقصَى وقِبلَتَهُ
أقدامُهُمُ دُونَ إجْلالٍ لمحتَرَمِ

---

(١) اللصوص الحذاق.

وتَحتَ سطوتِهمْ ضَاعتْ مآثرُنَا

مِنَ الحضارة بين الذُّلِّ وَالكَشَمِ[1]

يَا غوثنَا وَطَنُ الإسلامِ محتَضَرٌ

إرْثُ الكلالةِ لم يُقْسَمْ لِذِى رحمٍ

تُخُومُ دَولتكَ الكُبْرى أدَرْتَ لها

رَحَى الدِّفَاع إذا جَارُوا علَى التَّخَمِ

فَالرُّومُ والفُرس لا قَوْا مِنْكَ مَاسَدَةً

تركْتَهُمْ - للرَّدَى - لَحْمًا علَى وضَمِ[2]

قُوَّادُ مُؤْتَةَ للرُّومانِ قد وَرَدُوا

مُسْتَنْقَعَ الموتِ تَوَّاقِينَ للقَرَمِ[3]

زَيدُ بْنُ حارِثَةَ المِغْوَار لَقَّنهُمْ

دَرْسَ البُطُولَةِ حتَّى شاطَ فى حَذَمِ[4]

---

(١) كشم أنفه : دقه أو جدعه.

(٢) تركهم لحماً على وَضَم : أى: أوقع بهم فذللهم وأوجعهم.

(٣) القَرم : شدة الشهوة إلى اللحم فهو قرِم.

(٤) بالتحريك: سرعة الاستشهاد.

وَجَعْفَرٌ فى يديهِ الرَّايةُ ارتفَعتْ
وضَمَّهَا صَدْرُهُ فى قَبضَةِ الجَذَمِ[1]
وَقَدْ تردَّدَ عَبْدُ اللهِ ثُمَّ مَضَى
بعْدَ التَّرَدُّدِ حتىً فَاحَ مِسْكُ دَمِ
وَخَالدُ بنُ الوَليدِ اللهُ حَمَّلَهُ
عِبْءَ القَيادَةِ مِثل الصَّارِمِ الحذِمِ[2]
فى القَادسيَّةِ نَارُ الفُرْسِ قد خمدَتْ
وَيَزْدَجِرْدُ هَوَى فى مَرتعٍ وَخِمِ

***

(يا أحْمَدَ الخَير) قد ضَاقَتْ بنَا سُبُلٌ
مِنْ هؤلاء بِسَيْلٍ منْ غُثَائِهِمِ
هَلْ تطلعُ الشَّمْس يومًا بعدَ مَا احتَجَبَتْ
وهَلْ تقشَّع عنها غَيْهَبُ الغُيُمِ ؟!
(يا أحمَدَ الخير) إنَّ دعَاءنا عَجَبٌ
مَعَ المعاصِى وَجَهْرِ الصَّوتِ فى الرَّنَمِ

---

(١) الجذَم، القطع، والجذم : الذى ذهبت أصابع كفه.
(٢) القاطع.

لا يَعــمـلُون وإنْ تدعُــوهُمْ جَــمَلُوا

أصــابعَ اليــدِ فى الآذان بـالصَّــمَمِ

وأعْـرضُـوا عـنْكَ واسـتـغـشَـوا ثـيـابَهُمُ

وكـيفَ يَـنهَضُ مَـبْطُونٌ مِنَ الـتّـخمِ؟!

إنَّ الرَّسُــــولَ بِبَــدْرٍ خـطَّ خُطتَــهُ

وَصَفَّ جَـحْـفَلَهُ كـالأُسْـدِ فى الأكَمِ

ويَعْــدَ تَعْــبِـئَــةٍ لهمْ وتَهْــيِـئَــةٍ

مِنَ العَرِيشِ اسـتـدَامَ النَّصْـرَ بالرَّزَمِ[1]

يَـدٌ دَعَتْ ويَـدٌ دَارَتْ بِـرايَتِــــهَـــا

رَحَى المعَــارِكِ فى فـرسـانه البُـهَمِ[2]

إنْ أحْـسَنُوا عَــمَــلاً نالُـوا مـآرِبَـهُمْ

ويُفْــتـحُ الأملُ الموصُـــودُ بِـالرَّدَمِ

---

(١) استدام فـلان ما عند فلان: انتظره، ويقصد انتـظار الرسول ﷺ النصر من الله تعـالى، والرزم: حنين الناقـة على ولدها، يريد أنه كـان يدعو طالبـا العون والرحمة من الله تعالى.

(٢) البُهمـة - بالضم - الخطة الشديدة والشجاع الذى لا يهـتدى من أين يؤتى والجيش. ج بهم كصرد. القاموس ٤/ ٨٣.

فـالـلهَ ندعُـو نَجَـاةً مِنْ مَـفَـازَتِهم

وحـفـظَ وَاديهمُ مِنْ عَـارضٍ عَـرِمِ

***

يَارَبُّ لا تـتْـرُكِ الـدُّنيـاَ لِـعَـابِثَـةٍ

منَ العـوابِثِ فى إِفْـسَـادِ أَرْضِـهِمِ

هَذَا رَسُـولُك قَـد عـزَّزْتَهُ بِيَـدٍ

مِنْ فَـوْقِ أيديـهمُ أَوْدَتْ بِمُـجْـتَـرِمِ

يَا أَعْظَـمَ الرُّسْلِ قَـد وَجَّـهْـتَ ظَالمـهُمْ

لِلعَـدْلِ واللـهُ يَقْـضِى صَـادِقَ الحكُمِ

أَنقِــذْ بـأَمْنِـكَ أَمْنَ المسلمينَ فَــهُمْ

فى مَـفْـزَعٍ بِوَطيسِ الحَـرْبِ مُـضْطَرِمِ

لا يسـتَطيـعُـون دَفْعَ الشـرِّ مِـنْ هَلَعٍ

وهُمْ شَـرَاذِمُ أَسْـرى فى بِـلاَدِهِمِ

إِنْ غَـيَّـروا غَـيَّـر المَوْلى مَـسِـيـرتهمْ

وإِنْ أَبَوْا فَــبــوَارُ الحـالِ وَالكَـهَمِ[1]

***

(١) كهَم الرَّجلُ : بطؤ عن النصرة والحرب

رَبَّاهُ عِشْنَا وَشَاهدنا مُشاهدةً

تُمَزِّقُ القَلْبَ بالأرْزَاء والنِّقَم

قَدْ كَشَّرَ الشَّرُّ عنْ أنيابه وَعَوَتْ

غَوائلُ الضَّعفِ كالأغوالِ والرُّقُم[1]

وَقَدْ حَمَلْنَا منَ الأوْزار أثقلها

حملاً ولمْ يَبْقَ ظَهْرٌ غَير مُنقَصِم

يَعْدُو علَينا شِرارُ الخَلْقِ عِدَّتُهمْ

تَمَامُ عِدَّةِ أهْلِ النَّارِ والحُطَم

لكنَّ نُورَكَ فى الآفَاق مَشْرِقُهُ

تُتمه رغم أنفِ الشِّرك وَالجُرُم

بِملْءِ أفْوَاهِهِمْ لنْ يُطفِئوا غَدَهُ

ولَنْ يَغيبَ عنِ الدُّنْيَا بِصَدِّهِم

***

يا سَيِّدَ الرُّسْلِ أَدرِكْنِي علَى عَجَلٍ

فإنَّنِي غَارِقٌ فى قَاع مُختَدِم

---

(١) ج الارقم وهى أخبث الحيات وأطلبها للناس أو ما فيه سواد وبياض، أو ذكر الحيات، والأنثى رقشاء. القاموس ٤/ ١٢٣.

يَا سَــيِّـدَ الـرُّسْلِ أَدْرِكْ هَائِـمـاً دَنِفـاً

يرْجُو الطَّبِيبَ لِجُـرْحٍ غَيـرِ مُلْتَئِمِ

يا سَيِّـد الرُّسْلِ إِنِّـى فى غِـمَـارِ هَوًى

وفى تَبـارِيح مـوجٍ منْهُ مُلتَطِمِ

فى لَيْلِيَ السَّـهـرُ المكبُوت أرَّقـنِى

والشـوقُ منِّى حـديدُ الحـدِّ وَالكلَم[1]

ضَلَّتْ بِيَ السُّـبْلُ لاَ أَدْرِى سـبِيلَ هُدًى

إلاَّ هُـدَى الـلـهِ فـى دَاجٍ مِـنَ الـظُّـلَـمِ

***

أُحَـدِّثُ النَّفْس : هَـلْ آوِى إِلى رحـمى

و(أحـمد الخـير) حَـامِى سَاكِنِى الحـرَمِ

جِـــوَارُهُ آمِـنٌ دُنْيَـــا وآخِـــرَةً

وَعِـنْدَهُ تَـهْــدَأُ الأَرْوَاحُ فِى إِضَـمِ[2]

---

(١) الكلْم - بتسكين اللام : الجرح وحركت اللام للشعر، أو جمع بضم الكاف وفتح اللام مفرده : كَلْمة، أو أصله : كُلُوم مع حذف الواو ضرورة . القاموس ٤/ ١٧٤ .

(٢) من أسماء مدينة الرسول ﷺ.

(مَـدِينَةُ النُّورِ) نُـورُ السَّعـد سَـاكِنُهـا

(وَطَيْـبَـةُ النُّورِ) تَجْلُـو سُـدْفَـةَ التُّـهَمِ

(حَـبِيـبَـةٌ)[1] وَرَسُـولُ الـله سَـاكِنُـهـا

تَنْفِـى الخَـبـائِـثَ للأَحْـيَـاءِ والرِّمَمِ

وَلاَ يُعَـجِّلُ مَنْ فِـيـهَـا بِزَلَّـتِـه

وَمَنْ يُجَـاوِرْ حَـبِـيبَ اللهِ لَـمْ يُضَمِ

بِالقُـرْبِ لا يَـقْـرَبُ الدَّجَّـالُ سَـاحَـتَـهـاَ

مَـحْـمِـيَّـةٌ بِحِـمى اللـهِ مِنَ الوَخَمِ[2]

أرْجُـو وآمُلُ قُـرْبًا مِنْهُ يُسْـعِـدُنِى

(مُـحَـمَّـدٌ) هوَ رُكْنِى غَـيـر مُنْهَـدِمِ

تكُـونُ دَارِى جِـوارَ الدَّار لاَصِـقَـةً

وَأَبْعَثُ اللَّـحْظَ والتَّسليمَ عَـنْ كَثَمِ[3]

***

---

(١) من أسماء مدينة الرسول ﷺ.

(٢) وخُمَ الطعـامُ: إذا ثقُل فلم يستـمرأ فـهو وخيم، وقـد تكون الوخـامة فى المعانى، يقال هذا الأمر وخيم العاقبة أى: ثقيل ردىء. اللسان ١٦/١١٧.

(٣) كثم هى كثب مع إبدال الباء ميما وهو القرب.

وَذِكْرُهُ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ يَشْغَلُنِي

خِلْواً وَفِي مَلأٍ بِالنَّاسِ مُزْدَحِمِ

وحَيْثُ أجْلِسُ اوْ أمْشِي فَلِي رَغَبٌ

أنْ يستجيبَ لِشَوْقٍ بَالِغِ العِظَمِ

وَفِي صَلاتِي أدْعُو أنْ أشَاهِدَهُ

وأنْ أُجَاوِرَهُ كَالضَّيفِ والخَدَمِ

وأنْ تُبَارِكَنِي أنْوارُ رُؤيَتِهِ

رُؤيَا عِيانٍ وَعَيْنُ القَلْبِ لمْ تَنَمِ

***

الوُدُّ وُدِّي أنِّي لاَ أفَارِقُهُ

وَمِنْهُ أحْظَى بِوَصْلٍ غَيْرِ مُنصرمِ

هَاجَتْ بِيَ الوَجْدَ أيَّامٌ لَنَا سَلَفَتْ

أدْرَكْتُ فِي الرَّوْضَةِ الفَيْحَاءِ مُغْتَنَمِي

فِيهَا ارْتَشَفْتُ عَبِيراً زَادَ مِنْ شَغَفِي

لَمَّا لَمَسْتُ بِكَفِّي طَاقَ مُسْتَلَمِ

حَبِيبِيَ المصْطَفَى أرْجُو شَفَاعَتَهُ
وَشَرْبَةَ الحَوْضِ مِنْ كَفَّيْهِ مِلْءَ فَمِي
هُوَ المبِيْنُ سَبِيلَ الحقِّ تَقْصِدُهُ
تَنَالُ مِنْهُ عَطَاءَ البَحْرِ وَالدِّيَمِ
حَبَاهُ رَبُّ الوَرَى فَضْلاً رِسَالَتَهُ
مُبَشِّراً وَنَذِيراً غَيْرَ مُكْتَتِمِ

***

وَخَيْلُ حُبِّي تُوَلِّيَّ الوَجْهَ شَطْرَكُمُ
وتستَجِيرُ بِكمْ مِنْ كَابِحِ اللُّجُمِ
تَرُومُ حَمْلِي أصَلِّي بَيْنَ قَبْرِكُمُ
وبَيْنَ مِنبرِكُمَ حَاشَاكَ لمْ أرُمِ
أمشِي عَلَيْهَا كَأنِّي مِنْ محَاسِنِهَا
فِي جَنَّةِ الخُلْدِ بَيْنَ الحَوْضِ وَالقَدَمِ[1]
وزَرْعُ حُبِّيَ يَنْمُو حَامِلاً ثَمَراً
يَذُوقُهُ القَلْبُ مِثْلَ البُرِّ والأدَمِ

(١) ح الفدام: مصفاة الكوز والإبريق ونحوه، والساقى مُفَدَّم، والإبريق الذى يُسقى به الشراب مفدَّم. ويقال بالثاء - أيضا - الثدام.

أَعْـطـاكَ ربُّكَ مَـــــا أعْـطَـاكَ مَنْـزِلَـةً

فـوقَ الـنَّبِـيِّينَ مـثْلَ الْمُـفـرِدِ العَـلَمِ

***

أُمُّ القُــــرَى (مكَّةُ) الـزَّهراءُ عَـــامِــرَةٌ

بِطَائفـى البَيْتِ مِنْ عُـرْبٍ ومِـن عَـجَمِ

يَطُـوفُ سَــائِرُهُـمْ واللُّسْنُ مُــخْـتـلفٌ

وَيَرْمَلـونَ كـحَـادِى الأَيْنُـقِ الرُّسُمِ[1]

عَلَيْــهِـمُ مُــرْسَـلاَتُ الـله نَـازِلَةٌ

برَحْـــمَـــة منْهُ والغُــفْـرَانِ لِـلإِثْمِ

يَدْعُــونَ ربَّـهُمُ واللهُ يَـسْــمَــعُــهُمْ

وَيقْـــبَلُ الـتَّــوْبَ عَـنْهُـمْ تَوْبَةَ الـنَّدَمِ

حَـوْلَ العَـــتِيقِ يُلَـبِّى الرَّبَّ قـائلُهُمْ

لبَّــيْكَ لبَّــيْـكَ رَبَّ البَـيْـتِ وَالحَـرَمِ

عِنْـد المقــامِ يُصَـلِّى رَكْــعــتَىْ وَجَلٍ

حـــتَّى يَنَـالَ ثَـوَابًا هَـائِـلَ الـغُنُـمِ

---

(١) الأينق: جمع ناقة والرسيم: سيرهـا وقد رسمت الناقة ترسم وناقة رَسُومٌ: تؤثر فى الأرض بشدة الوطء. اللسان ١٦/ ١٣٣ والقاموس ٤/ ١٣٢، ١٣١.

وفى أُلوفِ عِدادِ الشَّعْرِ بالغَنَمِ
مـا كـانَ حَـازَ بَنُو كَلْبٍ مِنَ الغَنَمِ[1]

ويَزْرَعُ الخَيْرَ فِيها ثُمَّ يَحْصُدُهُ
مَـا الَذَّ مِنْ غَيْرِ تَنْغِيصٍ ولاَ أَلَمِ

يَوْمَ القِيامَةِ إِنْ خَفَّتْ مَوازِنُهُ
يُتَمِمْ بِهَا الفَرْضَ فى المِيزَانِ كَالْهَرَمِ

وَحِينَ يَسْعَى يَرَى فى السَّعْيِ مُتَّسَعًا
بِمَا يمرُّ به من ضِيْقِ القِسمِ

عِنْدَ الصَّفَا يَدعُ المَكْرُوب كُرْبَتَهُ
ويَشْتَفِي قَلْبُهُ مِنْ غُصَّةِ السَّأَمِ

يُفَرِّجُ اللهُ كَرْبَ الناس إذ عَبَرُوا
مَقَامَ مَنْ أَسْكَنُوا قَفْراً بِلاَ أَرِمِ[2]

(١) مقتبس من حديث صحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام - عن ليلة النصف من شعبان -: (إن الله يرحم من أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب).

(٢) بفتح الراء وكسرها: أحد، يقال: ما بالدار أرم: أى ما بها أحد. اللسان ١٤/ ٢٨١.

وَيَوْمَ أنْ لاَحَتِ الرُّؤيَا وَصَدَّقَهَا

أبُو النَّبِيِّينَ أوفَى النَّاس بِالذِّمَمِ

***

أنْوَارُ مكَّةَ تَغْرُونِى مُلألأَةً

عَلَى المآذِنِ حَوْلَ البَيْتِ كالنُّجُمِ

وَالكَعْبَةُ انْبَلَجَتْ فى الأفق طلعتُهاَ

بَدْرٌ وهَالاتُه كالجِيدِ وَالعِصَمِ[1]

يظَلُّ يَصْعَدُ مِنْهَا النُّورُ مُؤتلقاً

فى ذِرْوَةٍ تَصِلُ المَعْمُورَ بِالحَرَمِ

النَاظِرونَ إليهِ صَوْبَ أعْيُنِهِمْ

سَيْبٌ مِنَ اللهِ مِنْ أعلَى الجِنَانِ سَمِىَ

والطَّائفُونَ تُغَشِّيهِمْ مَلائكةٌ

تَحفُّهُمْ بالرِّضَا وَالسَّعْدِ وَالكَرَمِ

وَتَرفَعُ الأمْرَ لِلمَعْبُودِ رَبِّهِمُ

عليم سِرٍّ بِمَا يَخْفى علَى الفَهِمِ

---

(١) العِصَم: كعنب - القلائد، مفردها : العصمة - بالكسر ويضم -: القلادة. القاموس ٤/ ١٥٢.

عَـهْـدِى هُناكَ طَوَافِى حَـوْلَ قِـبْلَتِنَا

والنُّورُ ثَوبٌ يُغَطِّى عَـارِىَ الجِـسمِ

وكَمْ هُنَاكَ دَعَـوْتُ اللـه مُـبْـتَـهِـلاً

وَكَمْ وَقَـفْتُ طَوِيلاً عِـنْد مُلْتَـزَمِ

صَلَّيْتُ عِنْدَ مَـقَـامِ لِلخليل وَمَـا

ثَـوابُـكَ إنْ تَـرْكَـعْ وإنْ تَـقُـمِ

وَزَمْزَمُ انْبَجَسَتْ جِبْرِيلُ فَجَّرهَا

مِنْ تحتِ رِكْلَةِ إسْمَاعِيلَ بِالقَدَمِ

وأُمُّـهُ هَاجَـرٌ زَمَّتْ أزِمَّـتَـهَـا

حتّى وَفَتْ بِسخَاءِ الوَافِرِ العَمَمِ

مَـعِينُهَا العَذْبُ بِلْسَامٌ لِوَارِدهَا

هِىَ الدَّوَاءُ وتَقْضِى حَاجَ كُلِّ ظَمِى

***

مَنْ سَـرَّهُ سَنَوَاتُ العُـمْـرِ ذَاهِبَـةٌ

حَـتَّى عَلاَ الرأسَ مِنه بَارقُ الثَّغَمِ(١)

---

(١) ج الثغامة، وهو نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين فى حديث بياض رأس أبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ج ٤، ص٤٨٨.

وَسَـــارَ يَـضْـــرِبُ فى الأَرْضِ بلا كَـلَلِ

وَعَـــاش دُنْـيَـــاهُ لِـلَّذَّاتِ وَالحَـــشَمِ

يظُـنُّ أَنَّ رَفـيعَ الـقَـوْمِ مَـنْ كَـثُــرتْ

أولادُهُ وَهَـشِـــــيمُ المالِ وَالحُـطَـمِ

لمْ يَدْرِ أنَّ سَـعِيـدَ النَّاسِ مَنْ كـثـرتْ

صَـــــلاتُهُ وَشكَـتْ رِجْـــلاهُ مِنْ ورَمِ

لاَ حَـــوْلَ إلاَّ لِبَــاغِى الخَـيــر قــوتُهُ

مِنْ قُــوةِ الـلهِ فى عِــزٍّ ومُــعْــتَـصَمِ

***

أُجَــاهِدُ النَّفْسَ والشَّــيطانَ طُولَ مَــدًى

أُعِـــيــذُهَا مِنْ غَــرُورٍ بَاءَ بالـرَّجَمِ

يا نَفْسُ تُـوبِى نَصُــوحَ التَّـوْبِ خَــائفـةً

مِــمَّـا جَنَـيـتِ وكُـونِى فى ذَوِى قَـدمِ[1]

عُـــودِى إلى طَـاعَـــةِ الدَّيانِ تـائبَـــةً

مُــــدِّى يَـدَيْكِ إلِيــــهِ إثْرَ مُـــؤْتَـثِمِ

---

(١) ذوى أعمال صالحة.

تَرَىْ مَـــلاَئِـكةَ الرَّحـــمنِ شَـــاهِدَةً

فى يوم تـلْقَـيْنَ مَـــا قــدْ خُطَّ بالـقَلَمِ

يَا حُـسْنَ نَجْوَاكِ رَبَّ الْـعَرْشِ هَائِمــةً

مِـثْلَ الفَـرَاشِ عَلَى الأزْهَـارِ وَالعَنَمِ[1]

إلى حَـبِـيـبِك بالبُـشْـرى مُـهلَّلةً

طيـرى لأحــمـدَ غَنِّى أَعْذَبَ الـنَّغَمِ

وَإِذْ تُطِـيــعِينَ تَصْــفُــو الرُّوحُ فـى ألَقٍ

وَيُبْـصِـرُ القَلْبُ بَعْـدَ الرَّيْنِ والسَّـحَمِ[2]

وإِذْ تُصلِّـينَ يدْنُو الحقُّ مُـسْــتَــمِــعًـا

هَمْس الضَّــراعَـةِ بالتـأوِيبِ والـتَّـيَمِ[3]

وَإِذْ تَقُـــومِينَ بالأســـحَـــارِ راجِــيَـــةً

غُــفْــرانَ ذنْبٍ يَجُــودُ اللهُ بِـالرُّحُمِ[4]

أَوْ تَقْــرئـينَ كِـتَــابَ الله خَــاشِــعَــةً

يُرَجِّعُ الـذكْــرَ صَـوْتُ الشُّمِّ والـبُــهُمِ

(١) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب.

(٢) السَّحم : السواد.

(٣) التيم : أن يشتد به الهوى إلى أن يغيب عقله.

(٤) الرُّحُم : الرحمة.

أوْ تَسْـــهَــــرِيـنَ مع الأوْرَادِ ذاكـــرَةً

تريْـنَ حـــبَّــكِ رأىَ العَـــيْنِ مِـنْ أَمَمِ

وَ إذْ يزُولُ غِـــشَـــاءٌ مِنْ دجَى حُــجُبِ

تَرَيْـنَ ربَّك مـــثْلَ الْبـــدرِ فى تَـمَمِ

ولَـيس يُحـــــجَبُ عَـنْ أنـوارِ ربِّهـمُ

إلاَّ المفـرِّط مـحـجـوبٌ عَنِ الشَّـمَمِ[1]

يَا هَلْ شـكَرْتِ أو اسْـتكْبَــرت لاَهِيَـةً

وَغـــرَّكِ الدَّهْـرُ بالآمـــالِ وَالحُـلُمِ

وَهَلْ أجـاَشَـكِ عُـمْـرُ الوَرْدِ نُـضْـرَتُهُ

تَذْوِى عـلَى يَابِسِ الأفْـنَانِ والخَـــزَمِ[2]

هَلاَّ تـأمَّلتِ فَـــوْتَ العُـــمْـــرِ لحظَتُــهُ

كَـالبَرْقِ وَالرَّعْـدِ أو كَالسَّـهْمِ غِبَّ رُمِى

يُصـيـبُ فِى مـقْـتَلِ والنَّفْسُ غَـــافلةٌ

إلاَّ إذا احْـتُـمِلتُ فـى مـوكب الجَـثَمِ[3]

***

---

(١) الشمم : القرب.

(٢) الخزم : شجر له أفنان.

(٣) جثم : لزم مكانه فلـم يبرحه أى تلبد بـالأرض، وقيل : هو أن يقع على صدره، بمنزلة البروك للإبل، والمراد موت الإنسان وحمله إلى القبر.

أُمِّي عَلى صَالِحِ الأَعْمَالِ قَائمةٌ

فَي لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا على قَدَمِ

أُمِّي تُصَلِّي لِرَبِّ العَرْشِ دَاعِيَةً

وفي الفُؤَادِ رَجَاءٌ ضَارِعٌ بِفَمِ

وَبِالعَشِيِّ وَبِالإبْكَارِ ذاكِرَةٌ

لِربِّهَا بِلِسَانٍ طَاهِرٍ لَزِمِ[1]

أُمِّي تُصَلِّي علَى المحبُوبِ مَا بَرِحَتْ

أمِّي تُحِبُّ رَسُولَ اللهِ في أَوَمِ[2]

أُمِّي تجِيبُ أَبِي فِي كُلِّ صَاعِدَةَ

إلى السَّمَاءِ بِصَوْتٍ هَادِئٍ بَسِمِ

يَدَاهُمَا فِي شرُوقِ الشمسِ أو سحراً

مرفُوعتَانِ لِرَبِّ النَّاسِ بِالعَشَمِ[3]

وفي الرَّسُولِ أنيسٌ دائمٌ لهُمَا

ولا يَغِيبُ جنَابُ الفَارِسِ القُدُمِ[4]

---

(١) لزم: مولع بالذكر.

(٢) حب شديد.

(٣) الطمع فى رحمة الله وإجابته.

(٤) القدم : الشجاع.

وَوَالدى - بِرِضَا الله - يُحدِّثُهُ
حَدِيثَ وُدٍّ بِمَا يَخْلُو مِنَ الكَلِمِ

فى كُلِّ يَومٍ - بِجُنْحِ اللَّيل - سَامِرُهُ
ولمْ يغبْ عَنْهُ فى حِلٍّ ولاَ حَرَمِ

سَحَابَةَ اليَومِ يَقْضِى فى عِبادَتِه
إلى المساجد يسعى مُسرِعَ القَدَمِ

يَقُولُ : بِتُّ مع المحْبُوبِ وَجَنَّتُهُ
كالبدْرِ أو كاللُّجَيْنِ العَذْبِ فى اللَّثَمِ

فأَسْأَلُ اللهَ : هَلْ أَلْقاهُ مُعتذراً
إليهِ مِنْ فارِطِ الأعْمَالِ فى القِدَمِ

أَلَسْتُ أهْلاً لِقُربٍ مِنْ مَحَاسِنه
يجْلُو عن الصَّبِّ ما يَعْرُوهُ مِنْ شَبَمِ(١)

هُوَ الطَّبِيبُ الَّذى يَدْرِى دَوَا مَرضى
وَصَحَّةَ الرُّوحِ مِمَّا شَبَّ مِنْ ضَرَمِ

***

(١) الشَّبَم: البردُ، وقد شبم - كفرح - والشبم - ككتف - البردان أو مع جوع، والموت. اللسان ١٥/ ٢٠٩ والقاموس ٤/ ١٣٦ .

أُكْـرِمْـتُ يَوْمَ حَـبَـانِي وَالدى أمَـلاً

أَنْ أدْرُسَ العِلْمَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

حَـفِـظْتُ قُـرآنَه وَهَدْىَ سنتـه

فِي كَـعْبَـةِ العِلْمِ تَطوافِي وَمُلْتَزَمِي

وَعِـشْتُ لِلعِلْمِ أسْتَسقِي مَواهِبَهُ

مِنْ كُلِّ بَحْـرٍ غَـزِيرِ الموْجِ مُلْتَطِمِ

حَـتَّى وهَبْتُ حَـيَاتِي فِي صَـبَابَتِه

ونَشْره حِـسْبَـةً فِي كُلِّ مُزْدَحَمِ

أحْبَبْتُهُ وحَمِدْتُ الله وَاهِبَهُ

والحَمْدُ للهِ نَجَّانَا مِنَ الكَتَمِ

بِالعِلْمِ أعْـرِفُ رَبِّي حَقَّ مَعْرِفَةٍ

وسَاطِعٍ بِجَلاَلِ الكوْنِ مُنتَظِمِ

وَالعِلْمُ كالماءِ فِي الإسْلام أوكَلاً

أَوْ كالهَوَاءِ مُبَاحٌ شِرْكٌ مُقتسَمِ

وَرِثْتُهُ عَنْ أُصُولٍ مِن أوَائِلِنَا

مِيرَاثَ دِينٍ إلَى خَيْرِ الأنَامِ نُمِي

(١) السيدة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها

بَنُو هِلاَلَ إِلَى المختَارِ قَدْ نُسِبُوا
وَزَوْجُهُ مِنْهُمْ نارٌ على عَلَمِ[1]

***

جَالَسْتُ مَنْ ذِكْرُهُ فِي نَفْسِهِ مَدَدٌ
وَصَوتُه لاهِجٌ فِي خَلْوَةِ العُتُمِ[2]
عَبْدُ المُهَيمِنِ قُطبُ العَارِفِينَ وَمَنْ
لَهُمْ شُهُودٌ بنُورِ اللهِ فِي الظُّلَمِ
ثُمَّ الحسينيُّ حَبْرُ الوَاصِلِينَ مَعاً
كالفَرْقَدَيْنِ رَكِبْنَا مَتْنَ مُخْتَضَمِ[3]
والنَّقْشَبَنْدِيُّ نَجْمُ الدِّين بَحْرُ ندًى
والوارِدُونَ سُقُوا منْ وِرْدِ شَيْخِهِمِ
مُحَمَّدُ بْنُ زَكِيٍّ بَدْرُ كَوْكَبَةٍ
عشيرة المصْطَفَى أكْرِمْ بِجَمْعِهِمِ

(١) الذين يقرون ضيفانهم بالليل والنهار، وقال ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة جلّ وعلا: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه).

(٢) اختضم الطريق : قطعه.

أَحْبَبْتُ فيه عُلُومًا مِنْ لدنهُ زكَتْ

إلى العَليم بِسِرِّ الكوْنِ والعَدَمِ

أَهْلُ الحَقِيقَةِ أَهْلُ الله سَادتُنا

نَسيرُ فِي رَكْبِهِمْ بالعَهْدِ والذِّمَمِ

وَطَائري بِسَمَاءِ الوُدِّ حَامَ علَى

مَيَاهِهِمْ وَلِغَيْرِ الرَّاحِ لم أَحُمِ[1]

هُمْ يَقْرءون من الأوراد مَا هَتَفَتْ

به حَوائمُ أسْرابٍ مِنَ النَّسَمِ[2]

لِسَانُهُمْ عَنْ سَفِيهِ القَولِ مُرتفِعٌ

ولَيْسَ بَيْنَهُمُ مِنْ آكِلِي اللَّحَمِ

وَطَاهِرونَ بما يأْتُونَ مِنْ عَمَلٍ

مُبرَّأون مِنَ الأدْنَاسِ وَالذَّأَمِ[3]

اللهَ أحْبَبتُ فِيهمْ والنَّبِيَّ معًا

هذا السَّبيلُ وإنْ تَسْلُكْهُ تَسْتَقِمِ

---

(١) الحائم على الماء، وحام الطائر حَوْماً وحَوَماً : أى دار.

(٢) النسم : طير سراع خفاف.

(٣) الذأم : العيب، يهمز ولا يهمز، وأصله بسكون الهمزة وحرك للشعر.

هُمُ الأئمــــةُ تأتَمُّ الــهُـــداةُ بِهِمْ
على طريق بِذكْـــرِ الله مُنْسَـــجِمِ[1]

وَمِنْ سَنَاهُم أذُودُ الخَـــــصْمَ ذَودهُمُ
عن الحنيف ولِى حُـمْـرٌ مِنَ النَّعَمِ[2]

***

(الذكْـــرُ) فــيـــهِ صــلاةُ الله دَائِبـــةٌ
علَـى النَّبِىِّ بـأمْـــرٍ مِنْهُ مُنْحَـــسِمِ

علَى الحَــبِــيبِ يُصَلِّى اللهُ فى مَــلأ
منَ الملائكَـةِ الأطْهـــارِ فى كَـــرَمِ

إنَّ الصَّــلاةَ علَى المخـتــار واجِــبَـةٌ
علَـى ابْنِ آدَمَ إنْ يَبْلُـغْ مَـــدَى الحُـلُمِ

يَـا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمـــــاً أبَداً
علَـى الحَــبِــيبِ نَـبِىِّ الخَلقِ كُلِّهِمِ

---

(١) سجمت السحابة : سال ماؤها.

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ لعلى رضى الله عنه : "فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَمِ، رواه الشيخان، وحُمْرَ النَّعَمَ هى الإبل الحُمْرُ وهى أنفس أموال العرب، وهذا الخطاب باعتبار ما استقر عندهم من نفاسة ذلك وكرمه. دليل الفالحين ١/ ٣١.

صَلِّ وسَلِّمْ علَى مَنْ أُمُّــهُ حَــملَتْ

نُوراً أضَــاءَ ذُرَا بُصْــرَى مِنَ الشَــأمِ

صَلِّ وسَلِّمْ علَى مَــنْ أرْضَــعتْ ورَعَتْ

حَلِيــمــةٌ فِى بَنِى سَــعْــدٍ مِنَ اليُـتُمِ

صَلِّ وسَلِّمْ عــلَى مَنْ جَــدُّهُ خَطرَتْ

لهُ آيــة باسْــــمِــهِ مِــنْ قَــبْلُ لمْ يَسم

صَلِّ وسَلِّمْ علَــى المحْبُــوبِ مَنْ فضلَتْ

بِه قُــرَيشٌ عَلَى الــدُّنْيَــا بخَــيْــرِهِمِ

صَلِّ وسَلِّمْ علَى (مُــحــمَّــد) فَــبِــهِ

تحيَــا النُّفُــوسُ وتَنْجُــو مِنْ لظَى الحُـرَمِ

ومَنْ يُسلِّمُ عِنْد الـقَــبْــرِ يَسْــمَــعُــهُ

ومَنْ يُسلِّمُ مَــغْــفُــورٌ لِذَنْبِــهِمِ

قَدْ قَامَ مُسْتغْفِراً مُسْتَشفِعًا رَجُلٌ

عِنْدَ المقَــامِ وألْقَى قَــوْلَ مُــغــتَــنِمِ

(يَا خَــيْــرَ مَــنْ دُفِنَتْ بِالقَــاعِ أعــظمُــهُ

فطَــابَ مِنْهَــــا رُبُوعُ القَــــاعِ والأكَمِ

نَفْسِي الفِداءُ لقَبْرٍ أنتَ ساكنُهُ

أهل العَفافِ وأهْل الجُودِ والكَرَمِ)[1]

جَاءَ الرَّسُولُ إلى العُتْبِيِّ بَلَّغَهُ

تَابَ الكَرِيمُ عَلَيْهِ تَوْبَةَ الكَرَمِ

هُوَ الشَّفِيعُ لِمنْ صلَّى عَلَيْه إذَاَ

خَفَّت مَوَازِينُهُ في الموْقفِ الأَزِمِ

يَقُولُ هذى صَلاَة منْهُ أُودعُها

بكفَّةِ الحسَنَاتِ حَق مُحْتَكِمِ

فَيَلْبَسُ الخُضْر مِنْ أَثْوابِ جَنَّتِه

ويخْلعُ السُّود مِنْ أَثْوابِ ذِى الحُمَمِ[2]

أَبِى وأُمّى فِداءٌ كيفَ تنقذنى ؟

مَنْ أنتَ يا ذا الهدى والفَضْلِ والكَرَمِ؟!

---

(١) اقتباس من قول الرجل:

يا خيرَ من دُفنت بالقاع أعظمُه ... فطاب من طيبهنَّ القاعُ والاكمُ

نفسِي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُهُ ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

بتصرف، وانظر المغنى لابن قدامة فى الحديث عن زيارة الرسول ﷺ.

(٢) الحمم: كل ما احترق من النار.

ألَسْتَ تعـرفُ يا هـذا نَبِـيَّكُمُ
ألسَّيِّدَ تدري شَـفيع الرُّسْلِ والأمَمِ !

مَنْ لـمْ يُصَلِّ عليـهِ لم يَجِـدْ مَـدَدًا
ولا شـفيـعًـا لهُ مِنْ عُـقْـدَةِ البكَمِ

يَارَبِّ صَلِّ علَى المحمُـودِ ما ذُكِـرَتْ
أسـمـاؤهُ عَـدَدَ الجبـالِ والأكَمِ

يَا رَبِّ صَلِّ علَى المبْعُـوث مَـرْحَمـةً
عَـدَّ النبـاتِ وَعـدَّ الزهر والسَّلَمِ

يَا رَبِّ صَلِّ عـلى المختَـار مِنْ مُـضَـرٍ
عـدَّ السمَّـوات والأجْـرَامِ والنُّجُمِ

عَلَى الحَسـيبِ نُصَلِّى والنَّسيب مَدَى
طول الزَّمـانِ وَعَدَّ الـرَّملِ والرَّضَمِ(١)

عَلَى البَشِـيـر نُصَلِّى والنذير كـمـا
فِى الكَونِ مِنْ عَـدَدِ الذَّرَّاتِ والـرَّغَمِ

عَلَى الشَّفـيع نُصَلِّى عَـدَّ مَنْ خُلِقُـوا
ومَنْ يُشَـفَّعُ فـيـهمْ والَّذِيـنَ لَمِ(٢)

---

(١) صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض فى الأبنية. القاموس ٤/ ١٢٢.

(٢) أى وعدد الذين لم يشفع فيهم.

وَالكَائِنَاتِ الَّتِي فِي الأرض مسكنُها

وساكِنِي الملأِ الأعلَى جميعهم

وَمَا بعالَمِنَا المنظُورِ من مَدرٍ

أو وبرٍ أو من الأطيارِ والبُهُمِ

وَكُلُّ مَا كَانَ أَوْ يكُونُ فى قدرٍ

وَكلٌّ ما لَم يَكُنْ فِى عَالَمِ العَدَمِ

***

يَارَب مَسْجدَكَ الأقصى تُحَرِّرُهُ

مِنْ ربقة[1] الأسْرِ والتَّعذيبِ والألمِ

حَرِّرْ فلسطينَ مِنْ أيدى صَهَاينة

عاثوا بمَرْأًى وَمَسْمَعٍ مِنَ الأمَمِ

يَاربُّ قَرِّبْ خَلاَصَ المسلمينَ ومَن

يُدَقُّ دَقَّ الرَّحَى مِنْ دُونِ مَا جُرُمٍ[2]

---

(1) بكسر الراء وفتحها، ربقه يربقه - بضم الباء وكسرها فى المضارع - جعل رأسه فى الربقة، والربقة كل عروة، والرِّبْق - بالكسر -: حبل فيه عدة عُرىً يشد به البَهْمُ ج كعنَب وأصحاب وجبال. القاموس ٣/ ٢٤٢.

(2) فى الأثر (وتَدُقُّهم الفِتَنُ دَقَّ الرَّحَى) أى تدقهم دق الرحى الحب. اللسان ١٣/ ٨٩ (ثفل)

فَفِي العِراقِ وَفِي الشيشان قَدْ وقعُوا
مَا بين بَطْشَةِ هُولاكُو وَضَعْفِهِمِ

حَرَّرْ رُبُوعَ فَغَانِسْتانَ مُسْلِمُهُمْ
أُدِين بِالدِّين مَا للدِّين وَالفهمِ

فقيل: إسْلامُهُمْ إرهابُ قاعدة
وَمَا الحقيقةُ إلاَّ زَيْفُ مُتَّهَمِ

واْخْلِصِ الدِّينَ وَالدُّنيا لِصالِحِهِمْ
وأنْزِلِ البطْشَةَ الكُبْرَى بِعادِهِمِ

وَحَرِّرِ النَّاس وَالآفاق أجْمَعَهَا
مِن المضلِّينَ أهْلِ الزَّيْغِ والوصَمِ[1]

واحْفَظْ بَنِي مِصْرَ والسُّودان مِنْ خَطَرٍ
يُحيطهمْ بِدُروبِ البَأسِ وَالغُرُمِ

وَكُلَّ مَنْ رَامَ إلحاداً بِقِبلتنا
والمسجدينِ أذِقْهُ صَادِقَ الكلمِ

***

وَهَذِهِ بُرْدَتِي وبُرْأَتِي أملاً
فِي نُصْرَتِي وَصَلاتِي عِنْدَ ذِي سَلَمِ

---

(١) الوصَم: المرض. اللسان ١٦/١٢٦.

حَـــوَتْ ثَـلاثَ مِـــئينَ دُرَّةً نُـظمـتْ
وبِضْــعَـةً حَــمَلَتْ أشْـواقَ ذِي غُــرُمِ
ويَمْـــتَطِي الشُّــهْبَ مِنْهـا طائر هتــفتْ
لـهــــاتُهُ بِـلقـــــاءِ الحِـبِّ فى إِضَـمِ
يَارَبِّ تَشْـفى سَـقَامِـى مِنْ أذَى مَـرَضٍ
ألَمَّ بِـى أنْتَ عَنِّى صـــارفُ السَّـــقَمِ
لاَ تَجـــعَـلنِّى أمُـــدُّ الكَفَّ فِى طـلَبٍ
إلى سِـــــواكَ فَـــــذُلِّى فِـى طِلاَبِـهِمِ
وأنْتَ أقـــربُ مِـنْ حَـبْلِ الوريـدِ مَـعِى
وأنـت تكـلـؤنى بـالـبِـــــرِّ والنِّعَـمِ
لاَ إِنسَ أوجِـنَّ تملكُ نَفْـعَ أنْفُـســهَـــا
أو ضَــرَّها وجـمـيع الخلْـقِ غَـيـرِهِم
يَارَبِّ جَـــاهُكَ لِـى وجـــاهُ المصطفَى
فـفـرِّج الكرْبَ واكْشفْ داجى الغُـمَمِ
حَـــــتَّى أراهُ وألْـقَى نُـور وَجْـتِتـــــه
وأسكُـبُ الدَّمْـعَ أشْـــفِى غُلَّـةَ النَّـهِمِ
رأى بِعـــــينَيـــه مَـنْ فَـــازُوا برؤيتـــه
فـاسْـتَـشْــرفَتْ نَفْــسُـهُ تَـعلُّقـاً بِهِم

جَـاءَ المصَلّى وَقَـدْ جَلَّوْا إلى قَـدَحٍ
نَالُـوا المعَلَّى وَلَمْ يَلْحَقْ بِرَكْبِـهِمِ
وَهُمْ ذَوُو الفَـضْلِ أعطَـوهُ مَنَائِحَـهُمُ
جَـادُوا عَلَيـهِ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ
فـاغْـفِـرْ لـنَا ولَـهُـمْ يَارَبِّ قَـاطِـبَةً
وَوَالِـدَيَّ وأُخْـتـيَّ وأهْـلِـهِمِ

***

وَصَـلِّ رَبِّـي وسَـلِّـمْ دَائـمـاً أبَـداً
على الحَـبِـيبِ وآلِ البَـيْتِ والحَـرَمِ
وَصَـحْـبِـهِ كـالنُّجُـوم الـزُّهْرِ قُـدْوَتَنَا
والتَّـابعينَ لـهُمْ فِي جَـمِّ فَـضْلِـهِمِ
وتَابِـعِي التَّـابِـعينَ والذِّيـنَ مَـضَـوْا
عَلَـى هُدَاهُـمْ بِإحْـسَـانٍ لِـدِينِـهِمِ
تَـدُومُ مَـادَامَ مُـلْكُ الـلـه خَـالِـدَةً
وَمَـا شَـدَا صَـادِحٌ شَـوْقًـا إلَى إضَـمِ

***

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله، وصحبه، والتابعين ومن سار على هداهم إلى يوم الدين.